

الكتاب: مجلة تراثنا
المؤلف: مؤسسة آل البيت

الجزء: ٤٥

الوفاة: معاصر

المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية

تحقيق:

الطبعة:

سنة الطبع: ١٤١٧

المطبعة: ستارة - قم

الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة

ردمك: ISSN: ١٠١٦-٤٠٣٠

ملاحظات: العدد الأول - السنة الثانية عشر محرم ١٤١٧

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
* الاسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحققين والباحثين والمعنيين
بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.

* الآراء المنشورة لا تعبر عن رأي النشرة بالضرورة.

* ترتيب المواضيع يخضع لأمر فنية، وليس لأي أمر آخر.
النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها، أو بإعادتها إلى أصحابها.

المراسلات: تعنون باسم: هيئة التحرير.

دور شهر - خیابان شهید فاطمی - کوچه ۹ - پلاک ۵ - هاتف: ۴ - ۷۳۰۰۰۱

ص. ب. ۹۹۶ / ۳۷۱۸۵ - قم - الجمهورية الإسلامية في إيران.

تراثنا

العددان: الأول والثاني (۴۵ و ۴۶) السنة الثانية عشر / محرم - جمادى الآخرة
۱۴۱۷ هـ.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

الكمية: ۲۰۰۰ نسخة.

الفلم والألواح الحساسة (الزنگراف): واصف: قم.

المطبعة: ستاره - قم.

قيمة الاشتراك السنوي في نشرة تراثنا ۲۰۰ توماناً في إيران و ۲۵ دولاراً
أمريكياً في بقية أنحاء العالم.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥)

كلمة العدد:

الغزو الثقافي!

الثقافة، بكلمة واحدة، هي وعي الذات، إذ هي نتاج انفعال الفكر والعقيدة والقيم.. فالحديث عن بناء الذات أنى كان إنما هو حديث عن بناء الثقافة من خلال تدعيم الرصيد المعرفي وتأصيله وتأسيس عناصر المواصلات مع المصادر التي تحتل موقع المرجعية الفكرية والعقيدية.. من هنا تتضح حقيقة أن هزيمة الذات إنما مفتاحها الثقافة، فمتى استلبت هذه استلب الوعي بالذات، فلا يتبقى إلا هشيم أو حطام، أو آلة يسهل تطويعها بيد الآخر، أو بإشارته! وتبقى هي - الذات المهزومة - ناظرة إلى الآخر نظرة الداني إلى العالي، والظامئ إلى الساقى، تريد أن تستجدي كل شئ دون أن تعي أن لها شيئاً تعطيه، إلا الاستجابة لعطاء الآخر، والانسحاب وفق إرادته..

ذلك هو دور الثقافة في المجتمع، ولقد أدرك الغرب ذلك بدقة منذ امتلك أسباب المدنية الحديثة، التي أقام أسسها أولاً على ما استعاره من الآخر - المسلمين خاصة - فيما ظل سوادنا الأعظم - بما فيه النخب الحالية - لا يفهم للثقافة معنى إلا محاكاة الغرب..

ومذ أدرك الغرب دور الثقافة جعل طلائع غزوه الحديث للآخر
- والمسلمين بوجه خاص أيضا - في صنفين من الكتابات: كتابات
التبشير، وكتابات الاستشراق..

فإذا كانت كتابات التبشير ينبغي أن تقصد الوسط الشعبي العام، مما
سوف يفرض عليها اعتماد الآليات المناسبة في الخطاب الشعبي وأدواته،
من وسائل الدعايات البسيطة والمغرية، والخدمات الإنسانية والاجتماعية،
فإن كتابات الاستشراق سوف تتفرغ بالكامل لإنتاج الخطاب المناسب
للنخب المتعلمة والشرائح الأكثر وعيا...

إنه مشروع غزو محكم سوف يستوعب المجتمع بأسره..
ولقد حقق الصنفان نجاحات كبيرة وخطيرة، وما زالا يخوضان
المعركة بجد دؤوب.. ويخطئ من يظن أن إرساليات التبشير قد خاب
سعيها، فهي إن كانت لم تفلح في قلب المسلمين نصارى.. فقد أفلحت
في استلاب الحس الإسلامي على مدى طويل! لقد أفلحت في عام واحد
- هو العام الأول من هذا القرن الميلادي - أن تخرج ٨٦ ٪ من حملة
الشهادات الجامعية في سوريا ولبنان! لتخلف هذه النسبة العالية من مربى
الأجيال وفق مناهجها وأهدافها!

أما في العقود الأخيرة فقد أفلحت حتى في قلب المسلمين نصارى
لا سيما في جمهوريات جنوب شرقي آسيا وإفريقيا وألبانيا، وأخيرا أصبح
شمال العراق مرتعا خصبا لخيولها..

أما الاستشراق فلا يشك أحد في أنه قد أصبح (إماما) لدعاة (التنوير)
و (الحداثة) منذ مطلع هذا القرن.. إن عملية الغزو الثقافي هذه لم تكتسب
شموليتها من استيعابها لشرائح مجتمعاتنا وحسب، بل من استيعابها أيضا

لجميع العناصر التي تؤلف وعي الذات الجماعية حين وزعت أنشطتها على محاور الثقافة الإسلامية بلا استثناء..

* استهدفت الحس الإسلامي المتأصل، من خلال استثارة الحس القومي المنفصل عن أي مقوم ديني، بل الناقم عليه، فأفرز العشرات من الحركات القومية التي كان عامة مؤسسيها من النصارى أو من أصول يهودية! فكانت كفيلة بتمزيق الحس الإسلامي وليس الجسد الإسلامي وحده..

* كما استهدفت لغة القرآن، العنصر الخطير الجامع بين المسلمين، في دعوات شيطانية ذات ألوان: فمرة تدعو إلى تطوير اللغة القديمة واستبدالها بلغة جديدة أوفق بهذا العصر!

ومرة إلى تبني العامية وتقييدها لتكون بديلا عن الفصحى! ومرة إلى استبدالها بالإنجليزية!! والمستشرقون دائما هم الذين يرفعون ألوية تلك الدعوات، فخطط (سبيتا) أولا لتقعيد العامية ونقل الفصحى إلى المعابد، لتبقى لغة طقوس وحسب، شأنها شأن اللاتينية!

وتقدم (كارل فولرس) في التأسيس لذلك المشروع في كتاب وضعه بعنوان: (اللهجة العربية الحديثة)! وعقبه (ولمر) في كتاب: (العربية المحلية في مصر)! واستفز (وليم ولكوكس) المصريين خاصة في مقال بعنوان: (لم لم تظهر قوة الاختراع لدى المصريين إلى الآن؟) عزا فيه ذلك إلى اللغة الفصحى!!

ثم تابع قائمة المستشرقين تلك رجيل من دعاة (التنوير) و (الحدثة) في مقدمتهم (لطفى السيد) و (طه حسين)..
وفاقهما غلوا (عبد العزيز فهمي) و (سلامة موسى) في دعوتهما النكراء إلى استبدال العربية بالإنجليزية! ليكونا أجلى مثال للانسلاخ التام المبكر عن الذات!
انسلاخ لا يبرره شئ سوى (أن الخط اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل!!) وكأن الخط اللاتيني لم يكن حين كانت أوروبا مثال التخلف والهمجية فيما كان المسلمون الذين لا يعرفون اللاتينية قد استقروا في قمة السلم الحضاري؟!
إن أنموذجا واحدا من ضرورات الاستبدال يكفي في تصوير مدى الاستلاب الذي أصيب به هؤلاء، فمن تلك الضرورات (أن العربية لا تعرف حتى الآن إلا كلمة (أحصى) في العد، وهي مأخوذة من (الحصا) الذي كان يستخدمه العرب القدامى في العد)!
يقول الداعي ذلك في هذه المفردة العربية وهو لا يعلم أن نظيرتها الإنجليزية Calculate مأخوذة من الأصل اليوناني Culculus، والذي معناه (الحصاة)!! الحصاة ذاتها التي كان الرومان يعتمدونها في العد مثل العرب!!
أولئك ضحايا الغزو الثقافي، وتلك حقيقة (التنوير)!
* ولم تقف أنشطة الاستشراق عند تلك الحدود، بل استهدفت أصل الدين الإسلامي ومصادره الأساس، فهاجمت رسول الله ﷺ وهاجمت القرآن الكريم، نسبت رسول الإسلام إلى الكذب والادعاء

والاحتيال! ثم حاولت أن تقنع غيرها بأن القرآن نتاج بشري أفرزه العقل العربي مستفيدا من التوراة والأنجيل والتعاليم العربية السائدة! وانطلقوا يتصيدون مواضع التقارب أو التشابه في رسالات السماء، ليثبتوا دعواهم الداحضة..

لقد بلغ بهم الهوس والتضليل أن كذبوا حتى بالهجرة النبوية على أساس التشابه بين كلمة (هجرة) واسم (هاجر) أم إسماعيل، فقالوا: إن الإسلام ما هو إلا استكمال للديانة الهاجرية، نسبة إلى هاجر، ثم إن اسم هاجر تم تحريره لدى المسلمين ليعطي معنى الهجرة من مكة إلى المدينة!!

إن أصحاب هذه الرؤى ونظائرها من المستشرقين كانوا وما يزالون أساتذة يكتبون ويشرحون، فنبت لهم في بلاد الإسلام رباب من دعاة التنوير ونخبة الحداثة...

كان الطريق مفتوحا أمامهم لاحتكار منابر الخطاب على مستوياته المختلفة، فاستطاعوا بث مشاريعهم الاستلاكية تحت دعوى الانفتاح على الآخر!

لكن فاتهم - إن لم يكونوا قاصدين - أنه انفتاح الأعزل على الغازي المدجج بالسلاح! فاتهم أن عليهم أن ينهضوا بهذا المجتمع أولا ليعيدوا صلته الفاعلة بذاته، ليكون بعد ذلك انفتاحا متوازنا تبقى معه المرجعية الفكرية للمصدر المعرفي الأصيل!

أما حين يكون الانفتاح بعد قطيعة مع الذات فلا يؤمن أن تكون عاقبته القرية اتهام الوحي نفسه! والسقوط ليس فقط في شبهة (تاريخية

النص القرآني) التي نجم قرننها في الأمس القريب، بل يقع في إلغاء مرجعية القرآن لا في نظم الحياة ومناهجها فقط - كما هو حاصل - بل حتى في البعد الفكري والعقيدي الهادف إلى معرفة الحاضر واستشراف المستقبل، كما هو مطروح في أروقة الحداثة، ذلك الوليد غير الشرعي للغزو الثقافي الغربي..!!
هيئة التحرير

تشبيد المراجعات
وتفنيد المكابرات

(٦)

السيد علي الحسيني الميلاني
آية المودة

قال السيد رحمه الله:

(هل حكم بافتراض المودة لغيرهم محكم التنزيل؟!).

قال في الهامش:

(كلا، بل اختصهم الله سبحانه بذلك تفضيلا لهم على من سواهم
فقال:

(قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترب
حسنة (وهي هنا مودتهم) نزد له فيها حسنا إن الله غفور (لأهل مودتهم)
شكور (لهم على ذلك).

فقل:

(هذه الآية قال الإمام أحمد في سبب نزولها:

حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني عبد الملك بن ميسرة، عن طاووس، قال: أتى ابن عباس رجل فسأله..
وسليمان بن داود، قال: أخبرنا شعبة، أنبأني عبد الملك، قال:
سمعت طاووسا يقول: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قول الله عز
وجل: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن
جبير: قربى محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال ابن عباس: عجبت!
وإن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يكن بطن من قريش إلا
لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فيهم قرابة فنزلت: (قل
لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) إلا أن تصلوا قرابة ما بيني
وبينكم.

وكذلك روى البخاري هذا الحديث، وليس عنده (فنزلت).
وأخرجه الطبري ٢٥ / ٢٣ وفيه: إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها،
وعزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣ / ٣٦٨ إلى أحمد بن منيع
وقال: صحيح.

هذا، ويدل أن هذه الآية تدل على هذا المعنى: أن الله تعالى لم
يقُل: (إلا المودة لذي القربى)، بل قال: (في القربى). ألا ترى أنه لما أراد
ذوي قرابته قال: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه
وللرسول ولذي القربى).

وليس موالاتنا لأهل البيت من أجر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم
في شيء، وهو صلى الله عليه [وآله] وسلم لا يسألنا أجرا، بل أجره على
الله تعالى.

ثم إن الآية مكية باتفاق، ولم يكن علي تزوج بفاطمة بعد، ولا ولد

لهما.
وبهذا يتبين لك التكلف الممقوت، وتحميل كلام الله عز وجل
ما لا يحتمل عندما يقول المؤلف: (بل اختصهم الله سبحانه بذلك تفضيلاً
لهم على من سواهم فقال: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في
القربى ومن يقترب حسنة) (وهي هنا مودتهم) نزد له فيها حسناً إن الله
غفور (لأهل مودتهم) شكور (لهم على ذلك).
من أين له هذا التفسير؟! وهل يستقيم له ذلك بعقل أو نقل؟! اللهم
لا).
أقول:

إن هذا الذي ذكر ما هو إلا خلاصة لما قاله المتمادون في التعصب
من أهل السنة، ومنهم ابن تيمية في غير موضع من كتابه (منهاج السنة)
فليس هذا بشئ جديد، وإنما هو تقليد، كما سيظهر لمن كان له قلب أو
ألقى السمع وهو شهيد... فهذا هنا فصول:

في تعيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم
المراد من (القربى)

إنه إذا كنا تبعاً للكتاب والسنة، ونريد - حقا - الأخذ - اعتقاداً وعملاً -
ما جاء في كلام الله العزيز وأتى به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله
وسلم... كان الواجب علينا الرجوع إلى النبي نفسه وتحكيمه في كل ما
شجر بيننا واختلفنا فيه، كما أمر سبحانه وتعالى بذلك حيث قال: (فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (١).
لقد وقع الاختلاف في معنى قوله تعالى: (ذلك الذي يبشر الله
عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا
المودة في القربى...) (٢)... لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبق
وأن بين المعنى وأوضح المراد من (القربى) في أخبار طرفي الخلاف
كليهما، فلماذا لا يقبل قوله ويبقى الخلاف على حاله؟!
لقد عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم المراد من (القربى) في
الآية، فالمراد أقرباؤه، وهم علي والزهراء وولداهما.. فهؤلاء هم المراد
من (القربى) هنا كما كانوا المراد من (أهل البيت) في آية التطهير بتعيين منه

(١) سورة النساء ٤: ٦٥.

(٢) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

كذلك.

ذكر من رواه من الصحابة والتابعين:
وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدة كبيرة
من الصحابة وأعلام التابعين، المرجوع إليهم في تفسير آيات الكتاب
المبين، ومنهم:

- ١ - أمير المؤمنين علي عليه السلام.
- ٢ - الإمام السبط الأكبر الحسن بن علي عليه السلام.
- ٣ - الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام.
- ٤ - الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام.
- ٥ - الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.
- ٦ - الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه
السلام.
- ٧ - عبد الله بن العباس.
- ٨ - عبد الله بن مسعود.
- ٩ - جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ١٠ - أبو أمامة الباهلي.
- ١١ - أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي.
- ١٢ - سعيد بن جبير.
- ١٣ - مجاهد بن جبر.
- ١٤ - مقسم بن بجرة.

- ١٥ - زاذان الكندي.
- ١٦ - السدي.
- ١٧ - فضال بن جبير.
- ١٨ - عمرو بن شعيب.
- ١٩ - ابن المبارك.
- ٢٠ - زر بن حبیش.
- ٢١ - أبو إسحاق السبيعي.
- ٢٢ - زيد بن وهب.
- ٢٣ - عبد الله بن نجي.
- ٢٤ - عاصم بن ضمرة.

وممن رواه من أئمة الحديث والتفسير:

وقد روى نزول الآية المباركة في أهل البيت عليهم السلام - هذا الذي أرسله إرسال المسلم إمام الشافعية في شعره المعروف المشهور، المذكور في الكتب المعتمدة، كالصواعق المحرقة - مشاهير الأئمة في التفسير والحديث وغيرهما في مختلف القرون، ونحن نذكر أسماء عدة منهم:

- ١ - سعيد بن منصور، المتوفى سنة ٢٢٧.
- ٢ - أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١.
- ٣ - عبد بن حميد، المتوفى سنة ٢٤٩.
- ٤ - محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦.

- ٥ - مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١.
- ٦ - أحمد بن يحيى البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٦.
- ٧ - محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩.
- ٨ - أبو بكر البزار، المتوفى سنة ٢٩٢.
- ٩ - محمد بن سليمان الحضرمي، المتوفى سنة ٢٩٧.
- ١٠ - محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.
- ١١ - أبو بشر الدولابي، المتوفى سنة ٣١٠.
- ١٢ - أبو بكر ابن المنذر النيسابوري، المتوفى سنة ٣١٨.
- ١٣ - عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧.
- ١٤ - الهيثم بن كليب الشاشي، المتوفى سنة ٣٣٥.
- ١٥ - أبو القاسم الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠.
- ١٦ - أبو الشيخ ابن حبان، المتوفى سنة ٣٦٩.
- ١٧ - محمد بن إسحاق ابن مندة، المتوفى سنة ٣٩٥.
- ١٨ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥.
- ١٩ - أبو بكر ابن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.
- ٢٠ - أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧.
- ٢١ - أبو نعيم الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.
- ٢٢ - علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨.
- ٢٣ - محيي السنة البغوي، المتوفى سنة ٥١٦.
- ٢٤ - جابر الله الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨.
- ٢٥ - الملا عمر بن محمد بن خضر، المتوفى سنة ٥٧٠.

- ٢٦ - أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.
- ٢٧ - أبو السعادات ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٨ - الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٩ - عز الدين ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠.
- ٣٠ - محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢.
- ٣١ - أبو عبد الله الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٥٦.
- ٣٢ - أبو عبد الله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨.
- ٣٣ - القاضي البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥.
- ٣٤ - محب الدين الطبري الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٤.
- ٣٥ - الخطيب الشربيني، المتوفى سنة ٦٩٨.
- ٣٧ - أبو البركات النسفي، المتوفى سنة ٧١٠.
- ٣٨ - أبو القاسم الجزري، المتوفى سنة ٧٤١.
- ٣٩ - علاء الدين الخازن، المتوفى سنة ٧٤١.
- ٤٠ - أبو حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥.
- ٤١ - ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.
- ٤٢ - أبو بكر نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧.
- ٤٣ - ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢.
- ٤٤ - نور الدين ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.
- ٤٥ - شمس الدين السخاوي، المتوفى سنة ٩٠٢.
- ٤٦ - نور الدين السمهودي، المتوفى سنة ٩١١.
- ٤٧ - جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

- ٤٨ - شهاب الدين القسطلاني، المتوفى سنة ٩٢٣.
٤٩ - أبو السعود العمادي، المتوفى سنة ٩٥١.
٥٠ - ابن حجر الهيتمي المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.
٥١ - الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢.
٥٢ - عبد الله الشبراوي، المتوفى سنة ١١٦٢.
٥٣ - محمد الصبان المصري، المتوفى سنة ١٢٠٦.
٥٤ - قاضي القضاة الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.
٥٥ - شهاب الدين الألوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠.
٥٦ - الصديق حسن خان، المتوفى سنة ١٣٠٧.
٥٧ - محمد مؤمن الشبلنجي، المتوفى بعد سنة ١٣٠٨.

نصوص الحديث في الكتب المعتمدة:

وهذه ألفاظ من هذا الحديث بأسانيد كما في الكتب المعتمدة من
الصحاح والمسانيد والمعاجم وغيرها:

* أخرج البخاري قائلًا: (قوله: (إلا المودة في القربى)).

(حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن
عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت طاووسا عن ابن عباس - رضي الله
عنهما - أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبیر:
قربى آل محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم. فقال ابن عباس: عجلت! إن
النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم

قراة. فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القراة) (١)
* وأخرجه مسلم، كما نص عليه الحاكم والذهبي، وسيأتي.
* وأخرجه أحمد، ففي (المسند): (حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا يحيى، عن شعبة، حدثني عبد الملك بن ميسرة، عن طاووس، قال: أتى ابن عباس رجل فسأله. وسليمان بن داود، قال: أخبرنا شعبة، أنبأني عبد الملك، قال: سمعت طاووسا يقول: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قوله عز وجل: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير: قراة محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم. قال ابن عباس: عجلت! إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قراة فنزلت: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) إلا أن تصلوا قراة ما بيني وبينكم) (٢).

* وفي (المناقب) ما هذا نصه: (وفي ما كتب إلينا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، يذكر أن حرب بن الحسن الطحان حدثهم، قال: حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناها) (٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، المجلد الثالث: ٥٠٢.

(٢) مسند أحمد ١ / ٢٢٩.

(٣) مناقب علي: الحديث ٢٦٣، ورواه غير واحد من الحفاظ قائلين: (أحمد في المناقب) كالمحب الطبري في ذخائر العقبى: ٢٥، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف: ٣٦.

* وأخرج الترمذي فقال: (حدثنا بندار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمع طاووسا قال: سئل ابن عباس عن هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبیر: قربى آل محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم. فقال ابن عباس: أعجلت؟! إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح (١).

* وأخرج ابن جرير الطبري، قال:

[١] (حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المري، عن السدي، عن أبي الديلم، قال: لما جئ بعلي بن الحسين - رضي الله عنهما - أسيرا فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة! فقال له علي بن الحسين - رضي الله عنه - : أقرأت القرآن؟! قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟! قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم. قال: ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)؟! قال: وإنكم لأنتم هم؟! قال: نعم (٢).

(١) صحيح الترمذي، كتاب التفسير، ٥ / ٣٥١.

(٢) وأرسله أبو حيان إرسال المسلم، حيث ذكر القول الحق وقال: (وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، واستشهد بالآية حين سيق إلى الشام أسيرا) البحر المحيط ٧ / ٥١٦.

[٢] حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا عبد السلام، قال: ثنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، فكأنهم فخرُوا، فقال ابن عباس - أو العباس، شك عبد السلام - : لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فأتاهم في مجالسهم فقال: يا معشر الأنصار! ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي؟! قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ألم تكونوا ضلّالا فهداكم الله بي؟! قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفلا تجيبوني؟! قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟! أولم يكذبوك فصدقناك؟! أولم يخذلوك فنصرناك؟! قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى).

[٣] حدثني يعقوب، قال: ثنا مروان، عن يحيى بن كثير، عن أبي العالية، عن سعيد بن جبير، في قوله (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قال: هي قربة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم.

[٤] حدثني محمد بن عمارة الأسدي ومحمد بن خلف، قالوا: ثنا

عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، قال: سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قال: قربى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم (١). أقول:

ولا يخفى أن ابن جرير الطبري ذكر في معنى الآية أربعة أقوال، وقد جعل القول بنزولها في (أهل البيت) القول الثاني، فذكر هذه الأخبار. وجعل القول الأول أن المراد قرابته مع قريش، فذكر رواية طاووس عن ابن عباس، التي أخرجها أحمد والشيخان، وقد تقدمت، وفيها قول سعيد بن جبير بنزولها في (أهل البيت) خاصة. وأما القولان الثالث والرابع فستعرض لهما فيما بعد. * وأخرج أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي - صاحب المسند الكبير - في مسند عبد الله بن مسعود، في ما رواه عنه زر بن حبیش، قال: (حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا محمد بن خالد، عن يحيى ابن ثعلبة الأنصاري، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله، قال:

كنا مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في مسير، فهتف به أعرابي بصوت جهوري: يا محمد! فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: يا هناه! فقال: يا محمد! ما تقول في رجل يحب القوم ولم يعمل بعملهم؟ قال: المرء مع من أحب. قال: يا محمد! إلى من تدعو؟ قال:

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ١٦ - ١٧.

إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت. قال: فهل تطلب على هذا أجرا؟ قال: لا إلا المودة في القربى. قال: أقرباي يا محمد أم أقرباك؟ قال: بل أقرباي. قال: هات يدك حتى أبايعك، فلا خير في من يودك ولا يود قرباك (١).
* وأخرج الطبراني: (حدثنا محمد بن عبد الله، ثنا حرب بن الحسن الطحان، ثنا حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، ومن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما) (٢).
وأخرج أيضا: (حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا محمد بن مرزوق، ثنا حسين الأشقر، ثنا نصير بن زياد، عن عثمان أبي اليقظان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار فيما بينهم: لو جمعنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالا فنبسط يده لا يحول بينه وبينه أحد، فأتوا رسول الله فقالوا: يا رسول الله، إنا أردنا أن نجتمع لك من أموالنا. فأنزل الله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فخرجوا مختلفين، فقال بعضهم: ألم تروا إلى ما قال رسول الله؟! وقال بعضهم: إنما قال هذا لنقاتل عن أهل بيته وننصرهم... (٣).
* وأخرج الحاكم قائلًا: (حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن

(١) مسند الصحابة ٢ / ١٢٧ ح ٦٦٤.

(٢) المعجم الكبير ٣ / ٤٧ رقم ٢٦٤١، و ١١ / ٣٥١ رقم ١٢٢٥٩.

(٣) المعجم الكبير ١٢ / ٢٦ رقم ١٢٣٨٤.

يحيى ابن أخي طاهر العقيلي الحسني، ثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، حدثني عمي علي بن جعفر بن محمد، حدثني الحسين بن زيد، عن عمر بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، قال:

خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيه رايته فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، وما ترك علي أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يتناع بها خادما لأهله.. ثم قال:

أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت (١). وقال الحاكم بتفسير الآية من كتاب التفسير: (إنما اتفقا في تفسير

(١) المستدرک علی الصحيحین ٣ / ١٧٢.

هذه الآية على حديث عبد الملك بن ميسرة الزراد عن طاووس عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه في قربي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١).

* وأخرج أبو نعيم: (حدثنا الحسين بن أحمد بن علي أبو عبد الله، ثنا الحسن بن محمد بن أبي هريرة، ثنا إسماعيل بن يزيد، ثنا قتيبة بن مهران، ثنا عبد الغفور، عن أبي هاشم، عن زاذان، عن علي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليكم بتعلم القرآن وكثرة تلاوته تنالون به الدرجات وكثرة عجائبه في الجنة، ثم قال علي: وفينا آل حم، إنه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن، ثم قرأ (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٢).

وأخرج أيضا: (حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن مخلد، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا عبادة بن زياد، ثنا يحيى بن العلاء، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد! اعرض علي الإسلام. فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجرا؟ قال: لا، إلا المودة في القربى، قال: قرباي أو قرباك؟ قال: قرباي. قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرباك لعنة الله. قال صلى الله عليه وآله وسلم: آمين.

هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد، لم نكتبه إلا من

(١) المستدرک علی الصحيحین ٢ / ٤٤٤.

(٢) تاریخ أصبهان ٢ / ١٦٥.

حديث يحيى بن العلاء، كوفي ولي قضاء الري (١).
* وأخرج أبو بشر الدولابي خطبة الإمام الحسن السبط، فقال:
(أخبرني أبو القاسم كهمس بن معمر: أن أبا محمد إسماعيل بن محمد
ابن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب
حدثهم: حدثني عمي علي بن جعفر بن محمد بن حسين بن زيد، عن
الحسن بن زيد بن حسن بن علي، عن أبيه، قال: خطب الحسن بن علي
الناس حين قتل علي...

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن
الحسن بن علي بن أبي طالب، حدثني أبي، حدثني حسين بن زيد، عن
الحسن بن زيد بن حسن - ليس فيه: عن أبيه -، قال: خطب الحسن بن علي
الناس...

حدثنا أحمد بن يحيى الأودي، نا إسماعيل بن أبان الوراق، نا عمر،
عن جابر، عن أبي الطفيل، وزيد بن وهب، وعبد الله بن نجى، وعاصم
ابن ضمرة، عن الحسن بن علي، قال: لقد قبض في هذه الليلة
رجل... (٢).

* وأخرج ابن عساكر: (أخبرنا أبو الحسن الفرضي، أنبأنا عبد العزيز
الصوفي، أنبأنا أبو الحسن بن السمسار، أنبأنا أبو سليمان...
قال: وأنبأنا ابن السمسار، أنبأنا علي بن الحسن الصوري، أنبأنا
سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني اللخمي بأصبهان، أنبأنا الحسين بن
إدريس الحريري التستري، أنبأنا أبو عثمان طالوت بن عباد البصري

(١) حلية الأولياء ٣ / ٢٠١.
(٢) الذرية الطاهرة: ١٠٩ - ١١١.

الصيرفي، أنبأنا فضال بن جبير، أنبأنا أبو أمامة الباهلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: خلق الله الأنبياء من أشجار شتى، وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاع هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام، ثم لم يدرك محبتنا لأكبه الله على منخريه في النار، ثم تلا (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى).

ورواه علي بن الحسن الصوفي مرة أخرى عن شيخ آخر، أخبرناه أبو الحسن الفقيه السلمي الطرسوسي، أنبأنا عبد العزيز الكتاني، أنبأنا أبو نصر ابن الجيان، أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن الطرسوسي، أنبأنا أبو الفضل العباس بن أحمد الخواتيمي بطرسوس، أنبأنا الحسين بن إدريس (التستري...) (١).

* وأخرج ابن عساكر خبر خطبة مروان - بأمر من معاوية - ابنة عبد الله بن جعفر ليزيد، وأن عبد الله أوكل أمرها إلى الحسين عليه السلام فزوجها من القاسم بن محمد بن جعفر، وتكلم عليه السلام - في المسجد النبوي وبنو هاشم وبنو أمية مجتمعون - فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن الإسلام دفع الخسيسية وتمم النقيصة وأذهب اللائمة، فلا لوم على مسلم إلا في أمر مآثم، وإن القرابة التي عظم الله حقها وأمر برعايتها وأن يسأل نبيه الأجر له بالمودة لأهلها: قرابتنا أهل البيت...) (٢).

(١) تاريخ دمشق، ترجمة علي أمير المؤمنين ١ / ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) تعليق العلامة المحمودي على شواهد التنزيل ٢ / ١٤٤ عن أنساب الأشراف بترجمة معاوية، وتاريخ دمشق بترجمة مروان بن الحكم.

* وأخرج ابن الأثير: (روى حكيم بن جبير، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كنت أجالس أشياخنا لنا، إذ مر علينا علي بن الحسين - وقد كان بينه وبين أناس من قريش منازعة في امرأة تزوجها منهم لم يرض منكمها - فقال أشياخ الأنصار: ألا دعوتنا أمس لما كان بينك وبين بني فلان؟! إن أشياخنا حدثونا أنهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا محمد! ألا نخرج إليك من ديارنا ومن أموالنا لما أعطانا الله بك وفضلنا بك وأكرمنا بك؟ فأنزل الله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى). ونحن ندلكم على الناس. أخرجه ابن مندة) (١).

* وأخرج ابن كثير: (وقول ثالث، وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير... وقال السدي عن أبي الديلم، قال: لما جئ بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيرا... وقال أبو إسحاق السبيعي: سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال: قربى النبي. رواهما ابن جرير. ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا عبد السلام، حدثني يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس...

وهكذا رواه: ابن أبي حاتم، عن علي بن الحسين، عن عبد المؤمن ابن علي، عن عبد السلام، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده، مثله أو قريبا منه.

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ / ٣٦٧.

وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق، ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية...

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا رجل سماه، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنه -، قال: لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولدها. رضي الله عنهم. وهذا إسناد ضعيف، فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر (١).

* وروى الهيثمي: (عن ابن عباس قال: لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع، وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات) (٢).

ورواه مرة أخرى كذلك وقال: (فيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا) (٣). وروى خطبة الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: (باب خطبة الحسن ابن علي رضي الله عنهما: عن أبي الطفيل، قال: خطبنا الحسن بن علي بن أبي طالب، فحمد

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٠.

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ١٠٣.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨.

الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه خاتم الأوصياء
ووصي الأنبياء وأمين الصديقين والشهداء، ثم قال: يا أيها الناس، لقد
فارقكم رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون. لقد كان رسول الله
يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى
يفتح الله عليه. ولقد قبضه الله في الليلة التي قبض فيها وصي موسى،
وعرج بروحه في الليلة التي...

ثم قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن
محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم. ثم تلا هذه الآية قول يوسف:
(واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) ثم أخذ في كتاب الله.
ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، وأنا ابن النبي، أنا ابن الداعي
إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين،
وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأنا من
أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وولايتهم فقال في ما أنزل
على محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا
المودة في القربى).

قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار... وأبو
يعلى باختصار، والبزار بنحوه... ورواه أحمد باختصار كثير!
وإسناد أحمد وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حسان) (١).
* وروى السيوطي الحديث عن طاووس عن ابن عباس كما تقدم.

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٤٦.

قال: (وأخرج ابن مردويه من طريق ابن المبارك عن ابن عباس في قوله: (إلا المودة في القربى) قال: تحفظوني في قرابتي).

قال: (وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق مقسم، عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار...) الحديث، وقد تقدم.

قال: (وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير، قال: قالت الأنصار فيما بينهم: لو جمعنا لرسول الله...) الحديث، وقد تقدم.

قال: (وأخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي).

قال: (وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها).

قال: (وأخرج سعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير: (إلا المودة في القربى) قال: قربى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم).

قال: (وأخرج ابن جرير عن أبي الديلم، قال: لما جئ بعلي بن الحسين...) الحديث، وقد تقدم.

ثم روى السيوطي حديث الثقلين وغيره مما فيه الوصية باتباع أهل

البيت والتحذير من بغضهم... (١).
* وقال الآلوسي: (وذهب جماعة إلى أن المعنى: لا أطلب منكم أجرا إلا محبتكم أهل بيتي وقرابتي. وفي البحر: أنه قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب. و (في) عليه للطرفية المجازية، و (القربى) بمعنى الأقرباء، والجار والمجرور في موضع الحال. أي: إلا المودة ثابتة في أقربائي متمكنة فيهم، ولمكانة هذا المعنى لم يقل: إلا مودة القربى... وروى ذلك مرفوعا:

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، من طريق ابن جبير عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية... الحديث، كما تقدم. قال: (وسند هذا الخبر - على ما قال السيوطي في الدر المنثور - ضعيف، ونص على ضعفه في تخريج أحاديث الكشاف ابن حجر. وأيضا: لو صح لم يقل ابن عباس ما حكى عنه في الصحيحين وغيرهما وقد تقدم. إلا أنه روي عن جماعة من أهل البيت ما يؤيد ذلك: أخرج ابن جرير عن أبي الديلم، قال: لما جئ بعلي بن الحسين... الحديث، وقد تقدم.

(وروى زاذان عن علي كرم الله تعالى وجهه، قال: فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا مؤمن، ثم قرأ هذه الآية. وإلى هذا أشار الكمي في قوله: وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب ولله تعالى در السيد عمر الهيتي - أحد الأقارب المعاصرين - حيث

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦ / ٦ - ٧.

يقول:

بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى
وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق (قل لا)
والخطاب على هذا القول لجميع الأمة لا للأتصار فقط، وإن ورد ما
يوهم ذلك، فإنهم كلهم مكلفون بمودة أهل البيت، فقد أخرج مسلم
والترمذي والنسائي... فروى حديث الثقلين، ونحوه، ثم قال: (إلى غير
ذلك مما لا يحصى كثرة من الأخبار) (١).

* وروى الشوكاني الأخبار التي نقلناها عن (الدر المنثور) كالحديث
الذي رواه الأئمة من طريق مقسم عن ابن عباس. ثم قال: (وفي إسناده
يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف) وما رواه أبو نعيم والديلمي من طريق
مجاهد عن ابن عباس، ولم يتكلم في سنده، وما رواه الجماعة من طريق
سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: (قال السيوطي: بسند ضعيف).
ثم إنه أشار إلى التعارض الموجود بين الأخبار في ما روي عن ابن
عباس، ورجح ما أخرج عنه في كتابي البخاري ومسلم، وقال: (وقد أغنى
الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجميلة، وقد
بيننا بعض ذلك عند تفسيرنا لقوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت) (٢).

تنبيه:

حاول القوم أن لا ينقلوا خطبة الإمام الحسن عليه السلام كاملة،

(١) روح المعاني ٢٥ / ٣١ - ٣٢.

(٢) فتح القدير ٤ / ٥٣٦ - ٥٣٧.

وحتى المنقوص منها تصرفوا في لفظه! فراجع المسند ١ / ١٩٩،
والمناقب - لأحمد - الرقم ١٣٥ و ١٣٦، والمعجم الكبير - للطبراني - ٣ /
الرقم ٢٧١٧ إلى ٢٧٢٥، وتاريخ الطبري ٥ / ١٥٧، والمستدرک ٣ / ١٧٢،
والكامل ٣ / ٤٠٠، ومجمع الزوائد ٩ / ١٤٦، وقارن بين الألفاظ لترى مدى
إخلاص أمناء الحديث وحرصهم على حفظه ونقله!!
ولننقل الخبر كما رواه أبو الفرج وبأسانيد مختلفة، فقال:
(حدثني أحمد بن عيسى العجلي، قال: حدثنا حسين بن نصر،
قال: حدثنا زيد بن المعدل، عن يحيى بن شعيب، عن أبي مخنف، قال:
حدثني أشعث بن سوار، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سعيد بن رويم.
وحدثني علي بن إسحاق المخرمي وأحمد بن الجعد، قالوا: حدثنا
عبد الله بن عمر مشكدانة، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن
أبي إسحاق، عن عمرو بن حبشي.
وحدثني علي بن إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن عمر، قال: حدثنا
عمران بن عيينة، عن الأشعث بن أبي إسحاق، موقوفا.
وحدثني محمد بن الحسين الخثعمي، قال: حدثنا عباد بن يعقوب،
قال: حدثنا عمرو بن ثابت، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، قال:
قال عمرو بن ثابت: كنت أختلف إلى أبي إسحاق السبيعي سنة أسأله
عن خطبة الحسن بن علي، فلا يحدثني بها، فدخلت إليه في يوم شات
وهو في الشمس وعليه برنسه كأنه غول، فقال لي: من أنت؟ فأخبرته،
فبكى وقال: كيف أبوك؟ كيف أهلك؟ قلت: صالحون. قال: في أي شيء
تردد منذ سنة؟ قلت: في خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه.
قال: حدثني هبيرة بن يريم، وحدثني محمد بن محمد الباغندي

ومحمد بن حمدان الصيدلاني، قالوا: حدثنا إسماعيل بن محمد العلوي، قال: حدثني عمي علي بن جعفر بن محمد، عن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن زيد بن الحسن، عن أبيه - دخل حديث بعضهم في حديث بعض، والمعنى قريب - قالوا:

خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكثفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يتناع بها خادما لأهله.

ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: (ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت.

قال أبو مخنف عن رجاله: ثم قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا له وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة، فبايعوه.

ثم نزل عن المنبر (١).
أقول:

وهكذا روى الشيخ المفيد بإسناده (٢).
وذيل الخبر من الشواهد على بطلان خبر طاووس عن سعيد عن ابن عباس، كما لا يخفى.

(١) مقاتل الطالبين: ٦١ - ٦٢.

(٢) الإرشاد ٢ / ٧ - ٨.

الفصل الثاني

في تصحيح أسانيد هذه الأخبار
قد ذكرنا في الفصل الأول طرفاً من الأخبار في أن المراد من (القريبى)
في (آية المودة) هم (أهل البيت)، وقد جاء في بعضها التصريح بأنهم
(علي وفاطمة وابناهما).
وقد نقلنا تلك الأخبار عن أهم وأشهر كتب الحديث والتفسير عند
أهل السنة، من القدماء والمتأخرين... وبذلك يكون القول بنزول الآية
المباركة في (أهل البيت) قولاً متفقاً عليه بين الخاصة والعامة.
فأما ما رواه طاووس من جزم سعيد بن جبير بأن المراد هم (أهل
البيت) عليهم السلام خاصة، وهو الذي أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي
وغيرهم... فلم أجد طاعناً في سنده... وإن كان لنا كلام فيه، وسيأتي.
وأما ما أخرج في (المناقب) لأحمد بن حنبل فهو من الزيادات،
فالقائل (كتب إلينا) هو (القطيعي): أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي
- المتوفى سنة ٣٦٨ - وهو راوي: المسند، والزهد، والمناقب، لأحمد بن
حنبل.

حدث عنه: الدارقطني، والحاكم، وابن رزقويه، وابن شاهين،
والبرقاني، وأبو نعيم، وغيرهم من كبار الأئمة.
ووثقه الدارقطني قائلاً: ثقة زاهد قديم، سمعت أنه مجاب الدعوة،
وقال البرقاني: ثبت عندي أنه صدوق، وقد لينته عند الحاكم فأنكر علي

وحسن حاله وقال: كان شيخى، قالوا: قد ضعف واختل في آخر عمره، وتوقف بعضهم في الرواية عنه لذلك.

ومن هنا أورده الذهبي في (ميزانه) مع التصريح بصدقه، وهذه عبارته: ([صح] أحمد بن جعفر بن حمدان أبو بكر القطيعي، صدوق في نفسه مقبول، تغير قليلا. قال الخطيب: لم نر أحدا ترك الاحتجاج به) ثم نقل ثقته عن الدارقطني وغيره، ورد على من تكلم فيه لاختلاله في آخر عمره (١).

و (محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي) هو (مطين) المتوفى سنة ٢٩٧، قال الدارقطني: ثقة جبل، وقال الخليلي: ثقة حافظ، وقال الذهبي: الشيخ الحافظ الصادق، محدث الكوفة... (٢). وسيأتي الكلام على سائر رجاله، بما يثبت صحة السند وحجية الخبر.

وأما ما رواه ابن جرير الطبري حجة للقول بنزول الآية في (أهل البيت) وقد كان أربع روايات... فما تكلم إلا في الثاني منها، وهذا إسناده: (حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا عبد السلام، قال: ثنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس...). قال ابن كثير: (وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن علي بن الحسين، عن عبد المؤمن بن علي، عن عبد السلام، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده مثله أو قريبا منه).

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٧٣، المنتظم ٧ / ٩٢، سير أعلام النبلاء ١٦ / ٢١٠، ميزان الاعتدال ١ / ٨٧، الوافي بالوفيات ٦ / ٢٩٠، وغيرها.
(٢) تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٦٢، الوافي بالوفيات ٣ / ٣٤٥، سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤١.

وتبعه الشوكاني حيث إنه بعد أن رواه قال: (وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف).
وأما ما رواه الأئمة، كابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وعنهم السيوطي، فقد ضعف السيوطي سنده، وتبعه الشهاب الآلوسي، وقد سبقهما إلى ذلك الهيثمي وابن كثير وابن حجر العسقلاني، قال الأخير في شرح البخاري:
(وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً، فأخرج الطبراني وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟... الحديث. وإسناده ضعيف... وقد جزم بهذا التفسير جماعة من المفسرين، واستندوا إلى ما ذكرته عن ابن عباس من الطبراني وابن أبي حاتم، وإسناده واه، فيه ضعيف ورافضي) (١).
وقال في تخريج أحاديث الكشاف: (أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم في مناقب الشافعي، من رواية حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وحسين ضعيف ساقط) (٢).
وقال ابن كثير: (وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا رجل سماه، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٨ / ٤٥٨.
(٢) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف - مع الكشاف - ٤ / ٢٢٠.

جبير، عن ابن عباس... وهذا إسناد ضعيف، فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي محترق، وهو حسين الأشقر).

وتبعه القسطلاني بقوله: (وأما حديث ابن عباس أيضا عند ابن أبي حاتم، قال: لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولدها عليهم السلام. فقال ابن كثير: إسناده ضعيف، فيه متهم لا يعرف إلا عن شيخ شيعي محترق، وهو حسين الأشقر) (١).

وقال الهيثمي: (رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان، عن حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة، وبقيّة رجاله ثقات). أقول:

فالأخبار الدالة على القول الحق، المروية في كتب القوم، منقسمة بحسب آرائهم في رجالها إلى ثلاثة أقسام:

١ - ما اتفقوا على القول بصحته، وهو حديث طاووس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

٢ - ما ذكروه وسكتوا عن التكلم في سنده ولم يتفوهوا حوله بينت شفة! بل منه ما لم يجدوا بدا من الاعتراف باعتباره، كأخبار قول النبي لمن سأله عما يطلب في قبال دعوته، وخطبة الإمام الحسن عليه السلام بعد وفاة أبيه،

(١) إرشاد الساري ٧ / ٣٣١.

وكلام الإمام السجاد في الشام، ونحو ذلك.
٣ - ما رَوَاهُ وتكلموا في سنده.
أما الأول فلنا كلام حوله، وسيأتي في أول الفصل الرابع.
وأما القسم الثاني، فلا حاجة إلى بيان صحته بعد أن أقر القوم بذلك.
وأما القسم الثالث، فهو المقصود بالبحث هنا.
ولنفصل الكلام في تراجم من ضعفوه من رجال أسانيد هذه الأخبار،
ليتبين أن جميع ما ذكره ساقط مردود! على ضوء كلمات أعلام الجرح
والتعديل منهم:

١ - ترجمة يزيد بن أبي زياد:
وهو: القرشي الهاشمي الكوفي، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل.
هو من رجال الكتب الستة، قال المزي: (قال البخاري في اللباس
من صحيحه عقيب حديث عاصم بن كليب عن أبي بردة: قلنا لعلي: ما
القسية؟ وقال جرير عن يزيد في حديثه: القسية ثياب مضلعة...
الحديث).

وروى له في كتاب رفع اليدين في الصلاة. وفي الأدب. وروى له
مسلم مقرونا بغيره، واحتج به الباقر (١).
وروى عنه جماعة كبيرة من أعلام الأئمة كسفيان الثوري، وسفيان بن
عيينة، وشريك بن عبد الله، وشعبة بن الحجاج، وعبد الله بن نمير،

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٢ / ١٤٠.

وأمثالهم (١).
قال الذهبي: حدث عنه شعبة مع براعته في نقد الرجال (١).
أقول:
يكفي في جواز الاعتماد عليه وصحة الاحتجاج به رواية أصحاب
الكتب الستة وكبار الأئمة عنه.
مضافا إلى قول مسلم في مقدمة كتابه: (فإن اسم الستر والصدق
وتعاطي العلم يشملهم، كعطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد وليث بن
أبي سليم وأضرابهم) (٢).
وقد وثقه عدة من الأئمة أيضا:
قال ابن سعد: كان ثقة في نفسه إلا أنه اختلط في آخر عمره فجاء
بالعجائب.
وقال ابن شاهين - في الثقات - : قال أحمد بن صالح المصري: يزيد
ابن أبي زياد ثقة ولا يعجبني قول من تكلم فيه.
وقال ابن حبان: كان صدوقا إلا أنه لما كبر ساء حفظه وتغير، وكان
يلقن ما لقن فوقع المناكير في حديثه.
وقال الآجري عن أبي داود: لا أعلم أحدا ترك حديثه، وغيره أحب
إلي منه.

(١) تهذيب الكمال ٣٢ / ١٣٧، سير أعلام النبلاء ٦ / ١٢٩، تهذيب التهذيب ١١ /
٢٨٧ رقم ٥٣١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٦ / ١٣٠.
(٣) صحيح مسلم ١ / ٥ - ٦.

وقال يعقوب بن سفيان: ويزيد وإن كانوا يتكلمون فيه لتغيره فهو على العدالة والثقة وإن لم يكن مثل الحكم ومنصور (١). ثم إنا نظرنا في كلمات القادحين - بالرغم من كون الرجل من رجال الكتب الستة، إذ احتج به الأربعة وروى له الشيخان - فوجدنا أول شيء يقولونه:

كان من أئمة الشيعة الكبار (٢).

فسألنا: ما المراد من (الشيعة)؟ ومن أين عرف كونه (من أئمة الشيعة الكبار)؟

فجاء الجواب: تدل على ذلك أحاديث رواها، موضوع (٣).

فنظرنا فإذا به يروي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبي برزة، قال: (تغنى معاوية وعمرو بن العاص، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، ودعهما في النار دعا) (٤) فهذا الحديث موضوع (٥) أو غريب منكر (٦) لأنه ذم لمعاوية رأس

(١) هذه الكلمات بترجمته من تهذيب التهذيب ٦ / ٢٨٨ - ٢٨٩ وغيره.

(٢) الكامل - لابن عدي - ٧ / ٢٧٢٩ تهذيب الكمال ٣٢ / ١٣٨ تهذيب التهذيب ١١ / ٢٨٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٣٢ / ١٣٨ الهامش.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٤٢١، والطبراني والبخاري كما في مجمع الزوائد ٨ / ١٢١.

(٥) الموضوعات لابن الجوزي، لكن لا يخفى أنه لم يطعن في الحديث إلا من جهة يزيد ولم يقل فيه إلا كان يلحق بأخرة فيتلحق ولذا تعقبه السيوطي بما سنذكره.

(٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤ / ٤٢٤.

الفئة الباغية وعمرو بن العاص رأس النفاق!! فيكون راويه (من أئمة الشيعة الكبار)!!

لكن يبدو أنهم ما اكتفوا - في مقام الدفاع عن معاوية وعمرو - برمي الحديث بالوضع وراويه بالتشيع، فالتجأوا إلى تحريف لفظ الحديث، ووضع كلمة (فلان وفلان) في موضع الاسمين، ففي المسند: (حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن محمد - وسمعتُه أنا من عبد الله بن محمد بن أبي شيبة -، ثنا محمد بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، قال: أخبرني رب هذه الدار أبو هلال، قال: سمعت أبا برزة، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول:

لا يزال جوادي تلوح عظامه * ذوي الحرب عنه أن يحن فيقبرا
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انظروا من هما؟ قال:
فقالوا: فلان وفلان!!

قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اركسهما ركسا،
ودعهما إلى النار دعا).

وكأن هذا المقدار لم يشف غليل القوم، أو كان هذا التحريف لأجل
الإبهام، فيكون مقدمة ليأتي آخر فيزيله ويضع (معاوية) و (عمرا) آخرين!!
بخبر مختلق:

قال السيوطي - بعد أن أورد الحديث عن أبي يعلى وتعقب ابن
الجوزي بقوله: هذا لا يقتضي الوضع، والحديث أخرجه أحمد في مسنده:

حدثنا... وله شاهد من حديث ابن عباس: قال الطبراني في الكبير...
- (وقال ابن قانع في معجمه: حدثنا محمد بن عبدوس كامل، حدثنا عبد الله بن عمر، حدثنا سعيد أبو العباس التيمي، حدثنا سيف بن عمر، حدثني أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن صالح، عن شقران، قال: بينما نحن ليلة في سفر، إذ سمع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم صوتا فقال: ما هذا؟! فذهبت أنظر، فإذا هو معاوية بن رافع، وعمرو بن رفاعه بن تابوت يقول:
لا يزال جوادي تلوح عظامه * ذوي الحرب عنه أن يموت فيقبرا
فأتيت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فأخبرته فقال: اللهم اركسهما ودعهما إلى نار جهنم دعا. فمات عمرو بن رفاعه قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم من السفر).
قال السيوطي: (وهذه الرواية أزال الإشكال وبيئت أن الوهم وقع في الحديث الأول، في لفظة واحدة وهي قوله: ابن العاص، وإنما هو ابن رفاعه أحد المنافقين، وكذلك معاوية بن رافع أحد المنافقين، والله أعلم) (١).

بل السيوطي نفسه أيضا يعلم واقع الحال وحقيقة الأمر، وإلا فما أجهله!!

أما أولا: فلم يكن في الحديث الأول إشكال أو وهم حتى يزال!!
غاية ما هناك أن في (المسند) لفظ (فلان وفلان) بدل (معاوية وعمرو) والسيوطي يعلم - كغيره - أنه تحريف، إن لم يكن عن عمد فعن سهو!!

(١) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ٤٢٧.

على أنه لم يوافق ابن الجوزي في الطعن في الحديث، بل ذكر له ما يشهد له بالصحة.
وأما ثانيا: فلو سلمنا وجود إبهام وإشكال في الحديث الأول، فهل يزال ويرتفع بحديث لا يرتضي أحد سنده مطلقا، لمكان (سيف بن عمر)... ولنلق نظرة سريعة في ترجمته (١).
قال ابن معين: ضعيف الحديث.
وقال أبو حاتم: متروك الحديث.
وقال أبو داود: ليس بشيء.
وقال النسائي: ضعيف.
وقال الدارقطني: ضعيف.
وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها.
وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الإثبات. قالوا: كان يضع الحديث، اتهم بالزندقة.
وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك.
وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط.
والعجيب أن السيوطي نفسه يرد أحاديثه قائلا: (إنه وضاع) (٢)! أقول:
فلينظر الباحث المنصف كيف يردون حديثا - يروونه عن رجل اعتمد

(١) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٥٩.

(٢) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ١٩٩.

اعتمد عليه أرباب الصحاح الستة - لكونه في ذم ابن هند وابن النابغة، وهم شيعة لهما... ويقابلونه بحديث يرويه رجل اتفقوا على سقوطه واتهموه بالوضع والزندقة!!

فلينظر! كيف يتلاعبون بالدين وسنة رسول رب العالمين!! ولا يتوهمون أن هذه طريقتهم في أبواب المناقب والمثالب فحسب، بل هي في الأصول والفقه أيضا!! فلنرجع إلى ما كنا بصدده، ونقول:

إن (يزيد بن أبي زياد) ثقة، ومن رجال الكتب الستة، ولا عيب فيه إلا روايته بعض مثالب أئمة القوم!! ولذا جعلوه (من أئمة الشيعة الكبار)!! على أن كون الراوي شيعيا، بل رافضيا - حسب اصطلاحهم - لا يضر بوثاقته كما قرروا في محله وبنوا عليه في مواضع كثيرة (١). وتلخص: صحة روايته في نزول آية المودة في خصوص (أهل البيت) الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢ - ترجمة حسين الأشقر:

وقد ترجمنا لأبي عبد الله الحسين بن حسن الأشقر الفزاري الكوفي، في مبحث آية التطهير، وقلنا هناك بأنه من رجال النسائي في (صحيحه) وأنهم قد ذكروا أن للنسائي شرطا في صحيحه أشد من شرط الشيخين (٢).

وأنه روى عنه كبار الأئمة الأعلام: كأحمد بن حنبل، وابن معين،

(١) مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٣٩٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٠٠.

والفلاس، وابن سعد، وأمثالهم (١).
وقد حكى الحافظ ابن حجر بترجمته عن العقيلي، عن أحمد بن محمد بن هانئ، قال: قلت: لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - تحدث عن حسين الأشقر؟ قال: لم يكن عندي ممن يكذب.
وذكر عنه التشيع فقال له العباس بن عبد العظيم: إنه يحدث في أبي بكر وعمر، وقلت أنا: يا أبا عبد الله، إنه صنف بابا في معانيهما! فقال: ليس هذا بأهل أن يحدث عنه (٢).
وهذا هو السبب في تضعيف غير أحمد.
وعن الجوزجاني: غال من الشتامين للخيرة (٣).
ولذا يقولون: (له مناكير) وأمثال هذه الكلمة، مما يدل على طعنهم في أحاديث الرجل في فضل علي أو الحط من منائيه، وليس لهم طعن في الرجل نفسه، ولذا قال يحيى بن معين:
كان من الشيعة الغالية، فقليل له: فكيف حديثه؟! قال: لا بأس به. قيل: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه (٤).
هذا، فالرجل ثقة وصدوق عند: أحمد، والنسائي، ويحيى بن معين، وابن حبان... وإنما ذنبه الوحيد هو (التشيع) وقد نصوا على أنه غير مضر.

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١.

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.

أقول:

لكن المهم - هنا - أنه (صدوق) عند الحافظ ابن حجر أيضا، فقد قال: (الحسين بن حسن الأشقر، الفزاري، الكوفي، صدوق، يهتم ويغلو في التشيع، من العاشرة، مات سنة ٢٠٨. س) (١). وإنما أعدنا ترجمة الرجل هنا لنؤكد أن ابن حجر قد ناقض نفسه مرتين:

١ - في تضعيفه الرجل في (تخريج أحاديث الكشاف) مع وصفه ب (الصدق) في (تقريب التهذيب)!

٢ - في طعنه في الرجل بسبب التشيع أو الرفض - حسب تعبيره - مع أنه نص في (مقدمة فتح الباري) على أن الرفض - فضلا عن التشيع - غير مضر.

وبذلك يسقط طعنه في حديثنا، وكذا طعن غيره تبعاً له. تنبيه:

قد اختلف طعن الطاعنين في رواية الأئمة: الطبراني وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه: عن حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... فالسيوطي لم يقل إلا (بسند ضعيف) وتبعه الآلوسي.

(١) تقريب التهذيب ١ / ١٧٥.

وابن حجر قال في (تخريج أحاديث الكشاف): (وحسين ضعيف ساقط) فلا كلام له في غيره، لكن في (فتح الباري): (إسناده واه، فيه ضعيف ورافضي).

وابن كثير - وتبعه القسطلاني - قال عن حسين الأشقر: (شيخ شيعي محترق) وأضاف - في خصوص إسناده ابن أبي حاتم لقوله: حدثنا رجل سماه -: (فيه مبهم لا يعرف).

والهيثمي أفرط فقال: (رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان، عن حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع. وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات).

وبما ذكرنا - في ترجمة الأشقر - يسقط كلام السيوطي والآلوسي، وكذا كلام ابن كثير في (الأشقر) أما قوله: (فيه مبهم لا يعرف) فيرده أنه إن كان هو (حرب بن الحسن الطحان) فهو، وإن كان غيره فالإشكال مرتفع بمتابعته.

وكذا يسقط كلام ابن حجر في (تخريج أحاديث الكشاف). أما كلامه في (فتح الباري) فيمكن أن يكون ناظرا إلى (الأشقر) فقط، بأن يكون وصفه بالرفض وضعفه من أجل ذلك، ويمكن أن يكون مراده من (ضعيف) غير الأشقر الذي وصفه بالرفض... وهذا هو الأظهر، ومراده - على الظاهر - هو (قيس بن الربيع) الذي زعم غيره ضعفه، فلنترجم له:

٣ - ترجمة قيس بن الربيع:

وهو: قيس بن الربيع الأسدي، أبو محمد الكوفي:

من رجال: أبي داود، والترمذي، وابن ماجه (١).
روى عنه جماعة كبيرة من الأئمة في الصحاح وغيرها، كسفيان الثوري،
وشعبة بن الحجاج، وعبد الرزاق بن همام، وأبي نعيم الفضل بن
دكين، وأبي داود الطيالسي، ومعاذ بن معاذ، وغيرهم (٢).
وهذه بعض الكلمات في توثيقه ومدحه والثناء عليه باختصار:
قال أبو داود الطيالسي عن شعبة: سمعت أبا حصين يثني على قيس ابن
الربيع.

قال: قال لنا شعبة: أدركوا قيسا قبل أن يموت!
قال عفان: قلت ليحيى بن سعد: أفنتهمه بكذب؟! قال: لا.
قال عفان: كان قيس ثقة، يوثقه الثوري وشعبة.
قال حاتم بن الليث، عن أبي الوليد الطيالسي: كان قيس بن الربيع ثقة
حسن الحديث.

قال أحمد بن صالح: قلت لأبي نعيم: في نفسك من قيس بن الربيع
شيء؟ قال: لا.
قال عمرو بن علي: سمعت معاذ بن معاذ يحسن الثناء على قيس.
وقال يعقوب بن شيبة السدوسي: وقيس بن الربيع عند جميع
أصحابنا صدوق، وكتابه صالح، وهو ردئ الحفظ جدا مضطربه، كثير
الخطأ، ضعيف في روايته.
وقال ابن عدي: عامة رواياته مستقيمة، والقول فيه ما قال شعبة.
هذا، وقد أخذ عليه أمور:

(١) تهذيب الكمال ٢٤ / ٢٥، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥٠، وغيرهما.
(٢) تهذيب الكمال ٢٤ / ٢٧.

أحدها: إنه ولي المدائن من قبل المنصور، فأساء إلى الناس فنفروا عنه. والثاني: التشيع، نقله الذهبي عن أحمد (١). والثالث: وجود أحاديث منكرة عنده. قال حرب بن إسماعيل: قلت لأحمد بن حنبل: قيس بن الربيع أي شيء ضعفه؟ قال: روى أحاديث منكورة.

لكن قالوا: هذه الأحاديث أدخلها عليه ابنه لما كبر فحدث بها (٢). ولكونه صدوقا في نفسه، ثقة، وأن هذه الروايات مدخولة عليه وليست منه، قال الذهبي: (صدوق في نفسه، سيئ الحفظ) (٣). وقال الحافظ ابن حجر: (صدوق، تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث بها) (٤). فإن كان يقصد في (مقدمة فتح الباري) تضعيف هذا الرجل فقد ناقض نفسه كذلك...

٤ - ترجمة حرب بن حسن الطحان:

وهذا الرجل لم يتعرض له بالتضعيف، ولم ينقل كلاما فيه إلا الهيثمي، ولكنه مع ذلك نص على أنه (وثق) ولم يذكر المضعف ولا وجه التضعيف.

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٣٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٢ / ٤٥٦ - ٤٦٢، تهذيب الكمال ٢٤ / ٢٥ - ٣٧، سير أعلام

النبلأ ٨ / ٤١ - ٤٤، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥٠ - ٣٥٣.

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٣٩٣.

(٤) تقريب التهذيب ٢ / ١٢٨.

وقال ابن أبي حاتم: (سألت أبي عنه فقال: شيخ) (١).
وقال ابن حجر: (حرب بن الحسن الطحان. ليس حديثه بذاك. قاله
الأزدي. انتهى.

وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال ابن النجاشي: عامي الرواية. أي شيعي قريب الأمر. له كتاب.
روى عنه: يحيى بن زكريا اللؤلؤي) (٢).
أقول:

لكن لا يلتفت إلى قول الأزدي، كما نص عليه الذهبي، حيث قال: (لا
يلتفت إلى قول الأزدي، فإن في لسانه في الجرح رهقا) (٣).
تتمة:

فيها مطلبان:

الأول: قال الذهبي معقبا - على حديث خطبة الإمام الحسن عليه
السلام، الذي أخرجه الحاكم عن أبناء أئمة أهل البيت والذرية الطاهرة
-: (ليس بصحيح)! (٤).

ولما كان هذا القدر مجملا ومبهما، فإنه لا يعبأ به... وأظن أنه من
جهة المتن والمعنى لا السند، وعذر الذهبي في قدحه في مناقب آل البيت

(١) الجرح والتعديل ٣ / ٢٥٢.

(٢) لسان الميزان ٢ / ١٨٤.

(٣) ميزان الاعتدال ١ / ٦١.

(٤) تلخيص المستدرک ٣ / ١٧٢.

عليهم السلام معلوم!!
والثاني: قال ابن عساكر - بعد أن أخرج من طريق الطبراني حديث أبي
أمامة الباهلي -: (هذا حديث منكر، وقد وقع إلي جزء ابن عباد بعلو،
وليس هذا الحديث فيه) (١).
وهذا الحديث بهذا اللفظ رواه عن طريق الطبراني الحافظ أبو عبد الله
الكنجي، وقال: (هذا حديث حسن عال، رواه الطبراني في معجمه كما
أخرجناه سواء، ورواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى) (٢) والحافظ
ابن حجر (٣). ورواه لا عن طريق الطبراني: الحاكم الحسكاني
النيسابوري (٤).
أما عدم وجوده في الجزء الذي وقع إلى ابن عساكر من حديث طالوت
بن عباد فغير مضر كما هو واضح.
وأما نكارة الحديث ففي أي فقرة منها؟! أفي حديث الشجرة؟! أو في
قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم: (لو أن عبدا...)؟! أو في تلاوة آية
المودة في هذا الموضع؟!
أما حديث الشجرة فقد رواه من أئمة الحديث كثيرون (٥) وإليه أشار أمير
المؤمنين (٦) ولم يقل أحد بنكارتة.
وأما تلاوته الآية هنا، فقد عرفت أنها نازلة في علي وفاطمة

(١) تاريخ دمشق، ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ١ / ١٣٣.

(٢) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٣١٧.

(٣) لسان الميزان ٤ / ٤٣٤.

(٤) شواهد التنزيل ٢ / ١٤١.

(٥) راجع الجزء الخامس من كتابنا الكبير (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار

ففيه روايات أنهما مخلوقان من نور واحد، ومن شجرة واحدة.

(٦) نهج البلاغة: ١٦٢.

وابنيهما.
بقي قوله: (ولو أن عبدا...) وأظنه يريد هذا، وهو كلام جليل، ومعناه
دقيق، وخلاصة بيانه أن الحب هو وسيلة الاتباع والقرب، والعمل بلا
درك حب النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم غير مقرب إلى الله
سبحانه وتعالى، وكل عمل لا تقرب فيه إليه فهو باطل، وصاحبه من
أهل النار وبئس القرار.
هذا إذا أخذنا الكلام على ظاهره.
وأما إذا كان كناية عن البغض، فالأمر أوضح، لأن بغض النبي وأهل بيته
مبعد عن الله عز وجل، ولا ينفع معه عمل...
اللهم اجعلنا من المحبين للنبي وآله، ومن المتقربين بهم إليك.

الفصل الثالث

في دفع شبهات المخالفين

وإذا ثبتت صحة الأحاديث الدالة على نزول الآية المباركة في (أهل البيت) حتى التي تكلم في أسانيدها، بعد بيان سقوط ما تذرعوها به، تندفع جميع الشبهات التي يطرحونها حول ذلك. ولكننا مع ذلك نذكر ما قالوه في هذا الباب، ونجيب عنه بالأدلة والشواهد القويمة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

ولعل أشد القوم مخالفة في المقام هو ابن تيمية في (منهاج السنة) فلنقدم كلماته:

* يقول ابن تيمية: (ثبت في الصحيح عن سعيد بن جبير: أن ابن عباس سئل عن قوله تعالى: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قال: فقلت: إلا أن تودوا قربي محمد. فقال ابن عباس: عجلت! إنه لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله منهم قرابة فقال: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم. فابن عباس كان من كبار أهل البيت وأعلمهم بتفسير القرآن، وهذا تفسيره الثابت عنه.

ويدل على ذلك أنه لم يقل: إلا المودة لذوي القربى، ولكن قال: إلا المودة في القربى. ألا ترى أنه لما أراد ذوي قرباه قال: واعلموا أنما،

غنمتم من شئ فأن لله خمسته وللرسول ولذي القربى. ولا يقال:
المودة في ذوي القربى، وإنما يقال: المودة لذوي القربى، فكيف وقد
قال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى؟!
ويبين ذلك: إن الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم لا يسأل أجرا
أصلا، إنما أجره على الله، وعلى المسلمين موالاة أهل البيت لكن بأدلة
أخرى غير هذه الآية. وليست موالاة أهل البيت من أجر النبي في
شئ.

وأیضا، فإن هذه الآية مكية، ولم يكن علي قد تزوج بفاطمة،
ولا ولد له أولاد (١).

* وقال ابن تيمية:

(وأما قوله: وأنزل الله فيهم قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في
القربى فهذا كذب ظاهر، فإن هذه الآية في سورة الشورى، وسورة
الشورى مكية بلا ريب، نزلت قبل أن يتزوج علي بفاطمة...
وقد تقدم الكلام على الآية وأن المراد بها ما بينه ابن عباس... رواه
البخاري وغيره.

وقد ذكر طائفة من المصنفين من أهل السنة والجماعة والشيعة، من
أصحاب أحمد وغيرهم، حديثا عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم
أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء؟ قال: علي
وفاطمة وابناهما.

وهذا كذب باتفاق أهل المعرفة! (٢).

(١) منهاج السنة ٤ / ٢٥ - ٢٧.

(٢) منهاج السنة ٤ / ٥٦٢ - ٥٦٣.

* وكرر ابن تيمية:
تكذيب الحديث المذكور..
وأن الآية في سورة الشورى وهي مكة، وأن عليا إنما تزوج فاطمة
بالمدينة..
وأن التفسير الذي في الصحيحين يناقض ذلك الحديث، قال: سئل ابن
عباس...
وأنه قال: لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى
ولم يقل: إلا المودة للقربى، ولا المودة لذوي القربى كما قال:
واعلموا.....
وأن النبي لا يسأل على تبليغ رسالة ربه أجرا البتة، بل أجره على الله..
وأن القربى معرفة باللام، فلا بد أن يكون معروفة عند المخاطبين، وقد
ذكرنا أنها لما نزلت لم يكن قد خلق الحسن ولا الحسين، ولا تزوج
علي بفاطمة، فالقربى التي كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن تكون
هذه، بخلاف القربى التي بينه وبينهم، فإنها معروفة عندهم (٢).
* ولم يذكر ابن حجر العسقلاني في (تخريج الكشاف) إلا (المعارضة)
قال: (وقد عارضه ما هو أولى منه، ففي البخاري...) (٣) وكذا في (فتح
الباري) وأضاف: (ويؤيد ذلك أن السورة مكة) (٤).
* وقال ابن كثير: (وذكر نزول الآية في المدينة بعيد، فإنها مكة،

(١) منهاج السنة ٧ / ٩٥ - ١٠٣.

(٢) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف - مع الكشاف - ٤ / ٢٢٠.

(٣) فتح الباري في شرح البخاري ٨ / ٤٥٨.

ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي - رضي الله عنه - إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة. والحق تفسير هذه الآية بما فسرهما حبر الأمة... (١).

* وقال القسطلاني: (والآية مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة. وتفسير الآية بما فسر به حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس أحق وأولى) (٢).

* والشوكاني اقتصر على المعارضة وترجيح الحديث عن طاووس عن ابن عباس (٣).

* وابن رزبهان ما قال إلا: (ظاهر الآية على هذا المعنى شامل لجميع قرابات النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (٤).

* وقال عبد العزيز الدهلوي ما حاصله:

(إنه وإن أخرج أحمد والطبراني ذلك عن ابن عباس، لكن جمهور المحدثين يضعفونه، لكون سورة الشورى بتمامها مكية، وما خلق الحسن والحسين حينذاك، ولم يتزوج علي بعد بفاطمة... والحديث في طريقه بعض الشيعة الغلاة، وقد وصفه المحدثون بالصدق والظن الغالب أنه لم يكذب وإنما نقل الحديث بالمعنى، إذ كان لفظه أهل بيتي فخصهم الشيعي بالأربعة...)

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠١.

(٢) إرشاد الساري في شرح البخاري ٧ / ٣٣١.

(٣) فتح القدير ٤ / ٥٣٧.

(٤) إبطال الباطل - المطبوع مع إحقاق الحق - ٣ / ٢٠.

والمعنى المذكور لا يناسب مقام النبوة، وإنما ذلك من شأن أهل الدنيا، وأيضا ينافيه الآيات الكثيرة كقوله تعالى: ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله فلو كان خاتم الأنبياء طالبا للأجر لزم أن تكون منزلته أدنى من سائر الأنبياء، وهو خلاف الإجماع (١). فهذه شبهات أعلام القوم في هذا المقام، فلنذكر الشبهات بالترتيب ونتكلم عليها:

١ - سورة الشورى مكية والحسنان غير موجودين:
ولعل هذه أهم الشبهات في المسألة، وهي الأساس... ونحن تارة نبحث عن الآية المباركة بالنظر إلى الروايات، وأخرى بقطع النظر عنها، فيقع البحث على كلا التقديرين.
أما على الأول: فإن الآية المباركة بالنظر إلى الروايات المختلفة الواردة - سواء المفسرة بأهل البيت، أو القائلة بأنها نزلت بمناسبة قول الأنصار كذا وكذا - مدنية، ولذا قال جماعة بأن سورة الشورى مكية إلا آيات: قال القرطبي: (سورة الشورى مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى إلى آخرها) (٢). وقال أبو حيان: (قال ابن عباس: مكية إلا أربع آيات، من قوله

(١) التحفة الاثنا عشرية: ٢٠٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ١.

تعالى: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى إلى آخر الأربع آيات فإنها نزلت بالمدينة (١).
وقال الشوكاني: (وروي عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة: قل لا أسألكم... (٢).
وقال الألوسي: (وفي البحر: هي مكية إلا أربع آيات من قوله تعالى: قل لا أسألكم عليه أجرا إلى آخر أربع آيات. وقال مقاتل: فيها مدني، قوله تعالى: ذلك الذي يبشر الله عباده... واستثنى بعضهم قوله تعالى: أم يقولون افترى... وجوز أن يكون الإطلاق باعتبار الأغلب (٣).
وبهذا القدر كفاية.
ووجود آيات مدنية في سورة مكية أو بالعكس كثير، ولا كلام لأحد في ذلك.

وأما على الثاني: فالآية دالة على وجوب مودة (القربى) أي: أقرباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والخطاب للمسلمين لا لغيرهم.
أما أنها دالة على وجوب مودة (قربى) النبي، فلتبادر هذا المعنى منه، وقد أذعن بهذا التبادر غير واحد من الأئمة، نذكر منهم:
الكرماني، صاحب (الكواكب الدراري في شرح البخاري) (٤).
والعيني، صاحب (عمدة القاري في شرح البخاري).

(١) البحر المحيط ٧ / ٥٠٧.

(٢) فتح القدير ٤ / ٥٢٤.

(٣) روح المعاني ٢٥ / ١٠.

(٤) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١٨ / ٨٠.

قال العيني بشرح حديث طاووس: (وحاصل كلام ابن عباس: إن جميع قريش أقارب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، وليس المراد من الآية بنو هاشم ونحوهم كما يتبادر الذهن إلى قول سعيد بن جبير) (١). وأما أن الخطاب للمسلمين، فلوجوه، منها: السياق، فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور * أم يقولون افتري على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور * وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون * ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد. فقد جاءت الآية المباركة بعد قوله تعالى: ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فإن قلت: فبعدها: أم يقولون افتري على الله كذبا...؟!

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ١٩ / ١٥٧.

قلت:

ليس المراد من ذلك المشركين، بل المراد هم المسلمون ظاهرا المنافقون باطنا، يدل على ذلك قوله بعده: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون فالخطاب ليس للمشركين، ولم تستعمل (التوبة) في القرآن إلا في العصاة من المسلمين.

فإن قلت:

فقد كان في المسلمين في مكة منافقون؟!!

قلت:

نعم، فراجع (سورة المنافقون) و (سورة المدثر) وما قاله المفسرون (١). وعلى هذا، فقد كان الواجب على المسلمين عامة (مودة) أقرباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم... فهل - يا ترى - أمروا حينذاك بمودة أعمامه وبني عمومته؟!!

(١) يراجع بهذا الصدد: تفاسير الفريقين، خاصة في سورة المدثر، المكية عند الجميع، ويلاحظ اضطراب كلمات أبناء العامة وتناقضها، في محاولات يائسة لصرف الآيات الدالة على ذلك عن ظواهرها، فرارا من الإجابة عن السؤال ب (من هم إذا؟)!!

أما الشيعة.. فقد عرفوا المنافقين منذ اليوم الأول.. وللتفصيل مكان آخر، ولو وجدنا متسعا لوضعنا في هذه المسألة القرآنية التاريخية المهمة جدا رسالة مفردة، وبالله التوفيق.

أما المشركون منهم.. فلا، قطعاً.. وأما المؤمنون منهم وقت نزول الآية أو بعده... فأولئك لم يكن لهم أي دور يذكر في مكة... بل المراد (علي) عليه السلام، فإنه الذي كان المشركون ييغضونه ويعادونه، والمنافقون يحسدونه ويعادونه، والمؤمنون يحبونه ويوادونه.

ولا يخفى ما تدل عليه كلمتا (المودة) و (يقترف).
ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل - في المدينة - عن المراد من (القريب) في الآية المباركة قال: (علي وفاطمة والحسن والحسين).
٢ - الرسول لا يسأل أجراً:

إن الرسول من قبل الله سبحانه وتعالى لا يسأل الناس أجراً على تبليغ الرسالة إليهم أصلاً، وإنما أجره على الله، وهكذا كان الأنبياء السابقون: قال نوح لقومه: إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١). وقال هود: يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون (٢).

وقال صالح: إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (٣).
ومن هنا أصر بعضهم على أن الاستثناء منقطع، وجوز بعضهم - كالزمخشري وجماعة - أن يكون متصلاً وأن يكون منقطعاً.

(١) سورة الشعراء ٢٦: ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) سورة هود ١١: ٥١.

(٣) سورة الشعراء ٢٦: ١٤٣ - ١٤٥.

أقول:

ونبينا أيضا كذلك كما جاء في آيات عديدة، منها:
... قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين * إن هو

إلا ذكر للعالمين (١).

قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد (٢).

قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا (٣).

وقد أجاب المفسرون من الفريقين عن هذه الشبهة بأكثر من وجه، وفي تفسيري الخازن والخطيب الشربيني منها وجهان...

ولكن يظهر - بالدقة - أن الآيات في الباب بالنسبة إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على أربعة أنحاء:

١ - ما اشتمل على عدم سؤال الأجر.

٢ - ما اشتمل على سؤال الأجر لكنه (لكم).

٣ - ما اشتمل على عدم سؤال الأجر، وطلب (اتخاذ السبيل إلى الله) عن اختيار.

٤ - ما اشتمل على سؤال الأجر وهو (المودة في القربى).

وأي تناف بين هذه الآيات؟! يا منصفون!

(١) سورة الأنعام ٦: ٩٠.

(٢) سورة سبأ ٣٤: ٤٧.

(٣) سورة الفرقان ٢٥: ٥٧.

إنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يسأل الناس أجرا، وإنما يريد منهم أن يتخذوا سبيلا إلى الله، وهو ما لا يتحقق إلا بمودة أهل البيت، وهو لهم... ولذا ورد عنهم عليهم السلام: (نحن السبيل) (١)... نعم هم السبيل وخاصة (إذا صارت الدنيا هرجا ومرجا، وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل...) (٢).

فإذن.. هم.. السبيل... وهذا معنى هذه الآية في محكم التنزيل، ولا يخفى لوازم هذا الدليل، فافهم واغتنم، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن... وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٣ - لماذا لم يقل: إلا المودة للقربى؟

وطرح هذه الشبهة من مثل الدهلوي غير بعيد، لكنه من مثل ابن تيمية الذي يدعي العربية عجيب!! وليته راجع كلام أهل الفن: قال الزمخشري: (يجوز أن يكون استثناء متصلا، أي: لا أسألكم أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة، لأن قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة. ويجوز أن يكون منقطعا، أي: لا أسألكم أجرا قط ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم. فإن قلت: هلا قيل: إلا مودة القربى، أو: إلا المودة للقربى؟ وما معنى قوله: إلا المودة في القربى؟

(١) فرائد السمطين، وعنه في ينابيع المودة: ٢٢.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٥.

قلت: جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها، كقولك: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم هوى وحب شديد. تريد: أحبهم وهم مكان حبي ومحله، وليست (في) بصلة للمودة كاللام إذا قلت: إلا المودة للقربى، إنما هي متعلقه بمحذوف تعلق الظرف به في قولك: المال في الكيس. وتقديره: إلا المودة ثابتة في القربى و متمكنة فيها. والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى قرابة، والمراد: في أهل القربى. وروي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذريتنا خلف أزواجنا! (١).

وقرره الفخر الرازي حيث قال: (أورد صاحب الكشف على نفسه سؤالاً فقال: هلا قيل: إلا مودة القربى، أو: إلا المودة للقربى، وما معنى قوله: إلا المودة في القربى؟

وأجاب بأن قال: جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم هوى وحب شديد. تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله) (٢).

وكذا أبو حيان واستحسنه (١).

(١) الكشف في تفسير القرآن ٤ / ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٧ / ١٦٧.

(٣) البحر المحيط ٧ / ٥١٦.

وقال النيسابوري: (ثم أمر رسوله بأن يقول: لا أسألكم على هذا التبليغ أجرا إلا المودة الكائنة في القربى جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها، ولهذا لم يقل: مودة القربى، أو: المودة للقربى، وهي مصدر بمعنى القرابة، أي: في أهل القربى، وفي حقهم) (٢).
وقال أبو السعود بعد أن جعل الاستثناء متصلا: (وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى: لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة. وفي القربى حال منها. أي: المودة ثابتة في القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة. والقربى مصدر كالزلفى، بمعنى القرابة. روي: أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك...) (٣).
وراجع أيضا تفاسير: البيضاوي والنسفي والشربيني، وغيرهم.
٤ - المعارضة:

وهذه هي الشبهة الأخيرة، وهي تتوقف على اعتبار ما أخرج أحمد وغيره عن طاووس عن ابن عباس، والجواب عنها بالتفصيل في الفصل الرابع..

(١) تفسير النيسابوري - هامش الطبري - ٢٥ / ٣٣.

(٢) تفسير أبي السعود ٨ / ٣٠.

الفصل الرابع الأخبار والأقوال

قد ظهر إلى الآن أن نزول الآية المباركة في (أهل البيت) هو المتبادر من الآية، وأن القول بذلك مستند إلى أدلة معتبرة في كتب السنة، وأنه محكي عن أئمة أهل البيت: أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أعلم الأصحاب بكتاب الله بالإجماع، والحسن السبط عليه السلام، والحسين الشهيد عليه السلام، والإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام، والإمام الباقر عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام. ورواه عدة من كبار الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال به ابن عباس، في ما رواه عنه سعيد بن جبيرة ومجاهد والكلبي وغيرهم، بل أرسله عنه أبو حيان إرسال المسلم، وسنذكر عبارته. وهو قول: سعيد بن جبيرة، وعمرو بن شعيب، والسدي، وجماعة. أدلة وشواهد أخرى للقول بنزول الآية في أهل البيت: وقد ذكر هذا القول غير واحد من المفسرين وغيرهم فلم يردوه. بل لم يرجحوا عليه غيره، بل ذكروا له أدلة وشواهد ومؤيدات، من الأخبار والروايات.

* كالزمخشري، فإنه ذكر هذا القول، وروى فيه الحديث عن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم: (قيل: يا رسول الله، من قرابتك...) قال: (ويدل عليه ما روي عن علي...) الحديث، وقد تقدم، ثم قال بعده: (وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيته وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة).

وروي: إن الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا... الحديث، وقد تقدم. قال: (وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة) (١).

* والرازي حيث قال: (روى الكلبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة كانت تعروه نواشب وحقوق، وليس في يده سعة، فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم، فاجمعوا له

(١) الكشف في تفسير القرآن ٤ / ٢٢٠ - ٢٢١.

طائفة من أموالكم، ففعلوا، ثم أتوه به فردّه عليهم، فنزل قوله تعالى: قل لا أسألكم عليه أجرا أي على الإيمان إلا أن تودوا أقاربي. فحثهم على مودة أقاربه).

ثم إنه أورد الرواية عن الزمخشري قائلا: (نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال: من مات على حب آل محمد...) إلى آخره. ثم قال:

(وأنا أقول: آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل).

وأيضاً: اختلف الناس في الآل، ف قيل: هم الأقارب، وقيل: هم أمته. فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل. فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل، وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه. وروى صاحب الكشاف: إنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما. فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي. وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: إلا المودة في القربى ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام، قال صلى الله عليه [وآله] وسلم: فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها. وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله أنه كان يحب عليا والحسن والحسين. وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله: (واتبعوه لعلكم تهتدون) ولقوله سبحانه: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

الثالث: إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدا وآل محمد. وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب. وقال الشافعي رضي الله عنه:

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي (١)
* وذكر النيسابوري محصل كلام الرازي قائلا: (ولا ريب أن هذا
فخر عظيم، وشرف تام، ويؤيده ما روي... (٢)).
* وقال القرطبي: (وقيل: (القريبى) قرابة الرسول صلى الله عليه
[وآله] وسلم، أي: لا أسألكم أجرا إلا أن تودوا قرابتي وأهل بيتي، كما أمر
بإعظامهم ذوي القربى. وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب
والسدي. وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما أنزل الله عز وجل

(١) التفسير الكبير ٢٧ / ١٦٦.

(٢) تفسير النيسابوري - هامش الطبري - ٢٥ / ٣٣.

(قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودهم؟ قال: علي وفاطمة وأبناؤهما. ويدل عليه أيضا ما روي عن علي رضي الله عنه: قال: شكوت إلى النبي حسد الناس... وعن النبي: حرمت الجنة...

وكفى قبحا بقول من يقول: إن التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيه صلى الله عليه [وآله] وسلم وأهل بيته منسوخ، وقد قال النبي: من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة (١) ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه: أيس اليوم من رحمة الله، ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة، ومن مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي.

قلت: وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال:

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم... فذكره... (٢).

* وقال الخطيب الشربيني: (فقل: هم فاطمة وعلي وأبناؤهما.

وفيهم نزل: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٣).

* وقال الألوسي: (وقيل: علي وفاطمة وولدها رضي الله تعالى

عنهم، وروي ذلك مرفوعا: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، من طريق ابن جبير عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه

(١) كذا.

(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٣.

(٣) السراج المنير ٣ / ٥٣٧ - ٥٣٨.

الآية (قل لا أسألكم) إلى آخره. قالوا: يا رسول الله... وقد تقدم.
إلا أنه روي عن جماعة من أهل البيت ما يؤيد ذلك...
فروى خبر ابن جرير عن أبي الديلم (لما جئ بعلي بن
الحسين...) وخبر زاذان عن علي عليه السلام... وأورد قول كميت
الشاعر والهيتمي أحد أقاربه... وقد تقدم ذلك كله. ثم روى حديث
الثقلين، ثم قال:

(وأخرج الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب،
عن ابن عباس، قال: قال عليه الصلاة والسلام: أحبوا الله تعالى لما
يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله تعالى، وأحبوا أهل بيتي.
وأخرج ابن حبان والحاكم، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله
صلى الله عليه [وآله] وسلم: والذي نفسي بيده، لا ييغضنا أهل البيت رجل
إلا أدخله الله تعالى النار. إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من الأخبار،
وفي بعضها ما يدل على عموم القربى وشمولها لبني عبد المطلب:
أخرج أحمد والترمذي - وصححه - والنسائي، عن المطلب بن
ربيعة، قال: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم
فقال: إنا لنخرج فرى قريشا تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله
ودر عرق بين عينيه، ثم قال: والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى
يحبكم لله تعالى ولقرايتي.

وهذا ظاهر إن خص (القربى) بالمؤمنين منهم، وإلا فقليل: إن
الحكم منسوخ. وفيه نظر. والحق وجوب محبة قرابته عليه الصلاة والسلام
من حيث إنهم قرابته كيف كانوا، وما أحسن ما قيل:
داريت أهلك في هواك وهم عدى * ولأجل عين ألف عين تكرم

وكلما كانت جهة القربة أقوى كان طلب المودة أشد، فمودة العلويين ألزم من محبة العباسيين على القول بعموم (القربى) وهي على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضا باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات، وآثار تلك المودة التعظيم والاحترام والقيام بأداء الحقوق أتم قيام، وقد تهاون كثير من الناس بذلك حتى عدوا من الرفض السلوك في هاتيك المسالك، وأنا أقول قول الشافعي الشافعي العي: يا راكبا قف بالمحصب من منى.....) الأبيات (١). أقول:

هذا هو القول الأول، وهو الحق، أعني نزول الآية المباركة في خصوص: على وفاطمة والحسين، وعلى فرض التنزل وشمولها لجميع قربي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فما ورد في خصوص أهل البيت يخصصها.

فهذا هو القول الأول.

الرد على الأقوال الأخرى:

وفي مقابله أقوال:

أحدها: إن المراد من (القربى) القربة التي بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين قریش (فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القربة). والثاني: إن المراد من (القربى) هو القرب والتقرب إلى الله، أي:

(١) روح المعاني ٢٥ / ٣١ - ٣٢.

إلا أن تودوا إلى الله في ما يقربكم إليه من التودد إليه بالعمل الصالح.
والثالث: إن المراد من (القريب) هو (الأقرباء) ولكن لا أقرباء
النبي مطلقاً، بل المعنى: إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم.
والرابع: إن الآية منسوخة بقوله تعالى: (قل ما سألتكم عليه من
أجر فهو لكم) (١).
أقول:

أما القول الأخير فقد رده الكل، حتى نص بعضهم على قبحه، وقد
بيننا أن لا منافاة بين الآيتين أصلاً، بل إحداهما مؤكدة لمعنى الأخرى.
وأما الذي قبله، فلا ينبغي أن يذكر في الأقاويل، لأنه قول بلا دليل،
ولذا لم يعبأ به أهل التفسير والتأويل.
وأما القول بأن المراد هو (التقرب) فقد حكي عن الحسن البصري (٢)
وظاهر العيني اختياره له (٣). واستدل له في (فتح الباري) بما أخرجه أحمد
من طريق مجاهد عن ابن عباس أيضاً: إن النبي صلى الله عليه [وآله]
وسلم قال: (قل لا أسألكم عليه أجراً على ما جئتمكم به من البينات والهدى
إلا أن تقربوا إلى الله بطاعته).
لكن قال ابن حجر: (وفي إسناده ضعف) (٤).
وهو مردود أيضاً بأنه خلاف المتبادر من الآية، وأن النصوص على

(١) سورة سبأ ٣٤: ٤٧.

(٢) تفسير الرازي ٢٧ / ١٦٥، فتح الباري ٨ / ٤٥٨ وغيرهما.

(٣) عمدة القاري ١٩ / ١٥٧.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ / ٤٥٨.

خلافه... وهو خلاف الذوق السليم.
وأما القول الأول من هذه الأقوال، فهو الذي اقتصر عليه ابن تيمية فلم يذكر غيره، واختاره ابن حجر، ورجحه الشوكاني... والدليل عليه ما أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم عن طاووس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقد تقدم في أول أخبار المسألة.
ويقع الكلام على هذا الخبر في جهتين:
الجهة الأولى: جهة السند:

فإن مدار الخبر على (شعبة بن الحجاج) وقد كان هذا الرجل ممن يكذب ويضع على أهل البيت، فقد ذكر الشريف المرتضى رحمه الله (١) أنه روى عن جعفر بن محمد أنه كان يتولى الشيخين! فمن يضع مثل هذا لا يستبعد منه أن يضع على ابن عباس في نزول الآية.
ثم إن الراوي عن شعبة عند أحمد (يحيى بن عباد الضبعي البصري) قال الخطيب: (نزل بغداد وحدث بها عن شعبة... روى عنه أحمد بن حنبل...) (٢).

وقد أورد ابن حجر هذا الرجل فيمن تكلم فيه من رجال البخاري، فنقل عن الساجي أنه ضعيف، وعن ابن معين أنه ليس بذاك وإن صدقه (٣).
وروى الخطيب بإسناده عن ابن المديني، قال: سمعت أبي يقول: يحيى بن عباد ليس ممن أحدث عنه، وبشار الخفاف أمثل منه.

(١) الشافعي في الإمامة ٤ / ١١٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٤ / ١٤٤.

(٣) مقدمة فتح الباري: ٤٥٢.

وبإسناده عن يحيى بن معين: لم يكن بذاك، قد سمع وكان صدوقاً،
وقد أتيناها فأخرج كتاباً فإذا هو لا يحسن يقرأه فانصرفنا عنه.
وبإسناده عن الساجي: ضعيف، حدث عنه أهل بغداد. سمعت
الحسن بن محمد الزعفراني يحدث عنه عن الشعبي وغيره، لم يحدث
عنه أحد من أصحابنا بالبصرة، لا بNDAR ولا ابن المثنى.
وقد أورده الذهبي في ميزانه مقتصرًا على تضعيف الساجي (١).
والراوي عن شعبة عند البخاري (محمد بن جعفر - غندر) وقد
أدرجه ابن حجر فيمن تكلم فيه بمناسبة قول أبي حاتم: (يكتب حديثه
عن غير شعبة ولا يحتج به) (٢)، وبهذه المناسبة أيضاً أورده الذهبي في
ميزانه (٣).
والراوي عنه: (محمد بن بشار) وهو أيضاً ممن تكلم فيه غير واحد
من أئمتهم، وأدرجه ابن حجر فيمن تكلم فيه فذكر تضعيف الفلاس، وأن
يحيى بن معين كان يستضعفه، وعن أبي داود: لولا سلامة فيه لترك
حديثه (٤).
لكن في ميزان الاعتدال: (كذبه الفلاس) وروى عن الدورقي: (كنا
عند يحيى بن معين فجرى ذكر بNDAR، فرأيت يحيى لا يعبأ به ويستضعفه)
قال: (ورأيت القواريري لا يرضاه) (وكان صاحب حمام) (٥).

(١) ميزان الاعتدال ٤ / ٣٨٧.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٤٣٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٠٢.

(٤) مقدمة فتح الباري: ٤٣٧.

(٥) ميزان الاعتدال ٣ / ٤٩٠.

أقول:

لقد كان هذا حال عمدة أسانيد حديث طاووس عن ابن عباس، والإنصاف أنه لا يصلح للاحتجاج فضلا عن المعارضة، على أن كلام الحاكم في كتاب التفسير صريح في رواية البخاري ومسلم هذا الحديث عن طريق طاووس عن ابن عباس باللفظ الدال على القول الحق، وهذا نص كلامه: (إنما اتفقا في تفسير هذه الآية على حديث عبد الملك بن ميسرة الزراد عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه في قربي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

وأرسل ذلك أبو حيان عن ابن عباس إرسال المسلم، فإنه بعد أن ذكر القول الحق قال: (وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب واستشهد بالآية حين سيق إلى الشام أسيرا، وهو قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب. وعلى هذا التأويل قال ابن عباس: قيل: يا رسول الله، من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما) (١).

والجهة الثانية: جهة فقه الحديث:

وفيه:

أولا: إن من غير المعقول أن يخاطب الله ورسوله المشركين بطلب

(١) البحر المحيط ٧ / ٥١٦.

الأجر على أداء الرسالة، فإن المشركين كافرون ومكذبون لأصل هذه الرسالة، فكيف يطلب منهم الأجر؟!
وثانيا: إن هذه الآية مدنية، وقد ذكرت في سبب نزولها روايات تتعلق بالأنصار.
وثالثا: على فرض كونها مكية فالخطاب للمسلمين لا للمشركين كما بينا.
وبعد، فلو تنزلنا وجوزنا الأخذ سندنا ودلالة بما جاء في المسند وكتابي البخاري ومسلم عن طاووس عن ابن عباس، فلا ريب في أنه نص في ذهاب سعيد بن جبير إلى القول الحق.
وأما رأي ابن عباس فمتعارض، والتعارض يؤدي إلى التساقط، فلا يبقى دليل للقول بأن المراد (القراءة) بين النبي وقريش، لأن المفروض أن لا دليل عليه إلا هذا الخبر.
لكن الصحيح أن ابن عباس - وهو من أهل البيت وتلميذهم - لا يخالف قولهم، وقد عرفت أن أمير المؤمنين عليه السلام ينص على نزول الآية فيهم، وكذا الإمام السجاد... ولم يناقش أحد في سند الخبرين، وكذا الإمامان السبطان والإمامان الصادقان... فكيف يخالفهم ابن عباس في الرأي؟!
لكن قد تمادى بعض القوم في التزوير والتعصب، فوضعوا على لسان ابن عباس أشياء، ونسبوا إليه المخالفة لأمر المؤمنين عليه السلام في قضايا، منها قضية المتعة، حتى وضعوا حديثا في أن عليا عليه السلام كان يقول بحرمة المتعة فبلغه أن ابن عباس يقول بحليتها، فخاطبه بقوله:

(إنك رجل تائه)! ومع ذلك لم يرجع ابن عباس عن القول بالحلية! (١). ولهذا نظائر لا نطيل المقام بذكرها... والمقصود أن القوم لما رأوا رواية غير واحد من الصحابة - وبأسانيد معتبرة - نزول الآية المباركة في (أهل البيت) ووجدوا أئمة أهل البيت عليهم السلام مجمعين على هذا القول... حاولوا أولاً تضعيف تلك الأخبار ثم وضع شيء في مقابلها عن واحد من علماء أهل البيت ليعارضوها به، وليلقوا الخلاف بينهم بزعمهم... ثم يأتي مثل ابن تيمية - ومن تبعه - فيستدل بالحديث الموضوع ويكذب الحديث الصحيح المتفق عليه بين المسلمين.

تنبيهان:

الأول:

قد تنبه الفخر الرازي إلى أن ما ذكره في ذيل الآية من الأدلة على وجوب محبة أهل البيت وإطاعتهم واحترامهم، وحرمة بغضهم وعدائهم... يتنافى مع القول بإمامة الشيخين وتعظيم الصحابة قاطبة... مع ما كان منهم بالنسبة إلى أهل البيت وصدر منهم تجاههم، فحاول أن يتدارك ذلك فقال:

(قوله: (إلا المودة في القربى) فيه منصب عظيم للصحابة!! لأنه تعالى قال: (والسابقون السابقون * أولئك المقربون). فكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله تعالى، فدخل تحت قوله: (إلا المودة في

(١) راجع: رسالتنا في المتعتين، تراثنا، العدد: ٢٥.

القريبى)!

والحاصل: إن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله وحب أصحابه، وهذا المنصب لا يسلم إلا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة. وسمعت بعض المذكرين قال: إنه صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا. وقال: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ونحن الآن في بحر التكليف وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين: أحدهما: السفينة الخالية عن العيوب والثقب. والثاني: الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة، فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً. فكذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة، فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة!! (١).

وكذلك النيسابوري، فإنه قال: (قال بعض المذكرين: إن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق. وعنه صلى الله عليه [وآله] وسلم: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. فنحن نركب سفينة حب آل محمد ونضع أبصارنا على الكواكب النيرة، أعني آثار الصحابة لتخلص من بحر التكليف وظلمة الجهالة، ومن أمواج الشبهة والضلالة!! (٢).

وكذلك الألوسي، فإنه قال مثله وقد استظرف ما حكاه الرازي، قال

(١) تفسير الرازي ٢٧ / ١٦٦.

(٢) تفسير النيسابوري - هامش الطبري - ٢٥ / ٣٥.

الآلوسي بعد ما تقدم نقله عنه في وجوب محبة أهل البيت ومتابعتهم وحرمة بغضهم ومخالفتهم:

(ومع هذا، لا أعد الخروج عما يعتقده أكابر أهل السنة في الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ديناً، وأرى حبهم فرضاً علي مبيناً، فقد أوجبه أيضاً الشارع، وقامت على ذلك البراهين السواطع. ومن الظرائف ما حكاه الإمام عن بعض المذكرين...) (١). أقول:

لقد أحسن النيسابوري والآلوسي إذ لم يتبع الفخر الرازي في ما ذكره في صدر كلامه، فإنني لم أفهم وجه ارتباط مطلبه بآية المودة...: على أن فيه مواضع للنظر، منها: إن قوله تعالى: (والسابقون السابقون * أولئك المقربون) قد فسر في كتب الفريقين في هذه الأمة بعلي أمير المؤمنين عليه السلام (٢).

وأما الحكاية الظريفة عن بعض المذكرين، فإن من سوء حظ هذا المذكر - وهؤلاء المذكرين!! - تنصيب عشرات من الأئمة المعتمدين على بطلان حديث النجوم ووضعه وسقوطه:

قال أحمد: حديث لا يصح.

وقال البزار: هذا الكلام لا يصح عن النبي.

وقال الدارقطني: ضعيف.

وقال ابن حزم: هذا خبر مكذوب موضوع باطل، لم يصح قط.

(١) روح المعاني ٢٤ / ٣٢.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٠٢.

وقال البيهقي: أسانيدہ كلها ضعيفة.
وقال ابن عبد البر: إسناده لا يصح.
وقال ابن الجوزي: هذا لا يصح.
وقال أبو حيان: لم يقل ذلك رسول الله، وهو حديث موضوع لا يصح به عن رسول الله.
وقال الذهبي: هذا باطل.
وقال ابن القيم - بعد الإشارة إلى بعض طرقه - : لا يثبت شيء منها.
وضعه أيضا: ابن حجر العسقلاني، والسيوطي، والسخاوي، والمتقي الهندي، والمناوي، والخفاجي، والشوكانى... وغيرهم...
ومن شاء التفصيل فليرجع إلى رسالتنا فيه (١).
الثاني:
قال الرازي - في الوجوه الدالة على اختصاص الأربعة الأطهار بمزيد التعظيم - : (الثالث: إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهم صل...) وقد تعقب بعض علمائنا هذا الكلام بما يعجبني نقله بطوله، قال:
(فائدة: قال القاضي النعماني: أجمل الله في كتابه قوله (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فبينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأئمة، ونصب أولياءه لذلك من بعده، وذلك مفخر لهم لا يوجد إلا فيهم، ولا يعلم إلا فيهم، فقال حين

(١) وهي مطبوعة في آخر كتابنا: الإمامة في أهم الكتب الكلامية وعقيدة الشيعة الإمامية.

سألوا عن الصلاة عليه: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

فالصلاة المأمور بها على النبي وآله ليست هي الدعاء لهم كما تزعم العامة، إذ لا نعلم أحدا دعا للنبي فاستحسنه، ولا أمر أحدا بالدعاء له، وإلا لكان شافعا فيه، ولأنه لو كان جواب قوله تعالى (صلوا عليه) اللهم صل على محمد وآل محمد، لزم أن يكون ذلك ردا لأمره تعالى، كمن قال لغيره: إفعل كذا، فقال: إفعل أنت. ولو كانت الصلاة الدعاء، لكان قولنا: اللهم صل على محمد وآل محمد، بمعنى: اللهم ادع له، وهذا لا يجوز. وقد كان الصحابة عند ذكره يصلون عليه وعلى آله، فلما تغلب بنو أمية قطعوا الصلاة عن آله في كتبهم وأقوالهم، وعاقبوا الناس عليها بغضا لآله الواجبة مودتهم، مع روايتهم أن النبي سمع رجلا يصلي عليه ولا يصلي على آله فقال: لا تصلوا علي الصلاة البترة، ثم علمه بما ذكرناه أولا. فلما تغلب بنو العباس أعادوها وأمروا الناس بها، وبقي منهم بقية إلى اليوم لا يصلون على آله عند ذكره.

هذا فعلهم، ولم يدركوا أن معنى الصلاة عليهم سوى الدعاء لهم - وفيه شمة لهضم منزلتهم حيث إن فيه حاجة ما إلى دعاء رعييتهم - فكيف لو فهموا أن معنى الصلاة هنا المتابعة؟! ومنه المصلي من الخيل، فأول من صلى النبي، أي تبع جبريل حين علمه الصلاة، ثم صلى علي النبي، إذ هو أول ذكر صلى بصلاته، فبشر الله النبي أنه يصلي عليه بإقامة من ينصبه مصليا له في أمته، وذلك لما سأل النبي بقوله: (واجعل لي وزيرا من أهلي) عليا (اشدد به أزري) ثم قال تعالى: (صلوا عليه) أي: اعتقدوا ولاية علي وسلموا لأمره. وقول النبي: قولوا: اللهم

صل على محمد وآل محمد. أي: اسألوا الله أن يقيم له ولاية ولاية يتبع بعضهم بعضا كما كان في آل إبراهيم، وقوله: وبارك عليهم، أي: أوقع النمو فيهم، فلا تقطع الإمامة عنهم.

ولفظ الآل وإن عم غيرهم إلا أن المقصود هم، لأن في الأتباع والأهل والأولاد فاجر وكافر لا تصلح الصلاة عليه.

فظهر أن الصلاة عليه هي اعتقاد وصيته والأئمة من ذريته، إذ بهم كمال دينهم وتمام النعمة عليهم، وهم الصلاة التي قال الله إنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، لأن الصلاة الراتبية لا تنهى عن ذلك في كثير من الموارد (١).

دلالة الآية سواء كان الاستثناء متصلا أو منقطعا:

وتلخص: إن الآية المباركة دالة على وجوب مودة (أهل البيت)..
* سواء كانت مكية أو مدنية، بغض النظر عن الروايات أو بالنظر إليها.

* وسواء كان الاستثناء منقطعا كما ذهب إليه غير واحد من علماء العامة وبعض أكابر أصحابنا كالشيخ المفيد البغدادي رحمه الله، نظرا إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يطلب أجرا على تبليغ الرسالة، قال رحمه الله:

(لا يصح القول بأن الله تعالى جعل أجر نبيه مودة أهل بيته عليهم السلام، ولا أنه جعل ذلك من أجره عليه السلام، لأن أجر النبي في التقرب

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ١ / ١٩٠ - ١٩١.

إلى الله تعالى هو الثواب الدائم، وهو مستحق على الله تعالى في عدله وجوده وكرمه، وليس المستحق على الأعمال يتعلق بالعباد، لأن العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصا، وما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره.

هذا، مع أن الله تعالى يقول: (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجزى إلا على الله) وفي موضع آخر: (ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجزى إلا على الذي فطرني).

فإن قال قائل: فما معنى قوله: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)؟ أوليس هذا يفيد أنه قد سألكم مودة القربى لأجره على الأداء؟

قيل له: ليس الأمر على ما ظننت، لما قدمنا من حجة العقل والقرآن، والاستثناء في هذا المكان ليس هو من الجملة، لكنه استثناء منقطع. ومعناه: قل لا أسألكم عليه أجرا لكن ألزمكم المودة في القربى وأسألكموها، فيكون قوله: (قل لا أسألكم أجرا) كلاما تاما قد استوفى معناه، ويكون قوله: (إلا المودة في القربى) كلاما مبتدأ فائدته: لكن المودة في القربى سألتكموها، وهذا كقوله: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) والمعنى فيه: لكن إبليس، وليس باستثناء من جملة. وكقوله: (فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) معناه: لكن رب العالمين ليس بعدو لي. قال الشاعر:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس (١)

(١) تصحيح الاعتقاد - مصنفات الشيخ المفيد - : ١٤٠ - ١٤٢.

* أو كان متصلا كما جوزه آخرون، من العامة كالزمر مخشري والنسفي (١) وغيرهما.

ومن أعلام أصحابنا كشيخ الطائفة، قال: (في هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه استثناء منقطع، لأن المودة في القربى ليس من الأجر، ويكون التقدير: لكن أذكركم المودة في قرابتي. الثاني: إنه استثناء حقيقة، ويكون: أجري المودة في القربى كأنه أجر وإن لم يكن أجر) (٢). وكالشيخ الطبرسي، قال: (وعلى الأقوال الثلاثة فقد قيل في (إلا المودة) قولان، أحدهما: إنه استثناء منقطع، لأن هذا مما يجب بالإسلام فلا يكون أجرا للنبوة. والآخر: إنه استثناء متصل، والمعنى: لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا فقد رضيت به أجرا، كما أنك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك برا فتقول له: اجعل بري قضاء حاجتي. وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى: لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا، ونفعه أيضا عائد عليكم، فكأنني لم أسألكم أجرا، كما مر بيانه في قوله: (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم).

وذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدثني عثمان بن عمير، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول الله فنقول له: تعروك أمور، فهذه أموالنا... (٣). * هذا، ولكن قد تقرر في محله، أن الأصل في الاستثناء هو

(١) الكشف في تفسير القرآن ٤ / ٢٢١، تفسير النسفي - هامش الخازن - ٤ / ٩٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٩ / ١٥٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ٩ / ٢٩.

الاتصال، وأنه يحمل عليه ما أمكن، ومن هنا اختار البعض - كالبيضاوي - حيث ذكر الانقطاع قولاً - الاتصال، بل لم يجوز بعض أصحابنا الانقطاع، فقد قال السيد الشهيد المستري: (تقرر عند المحققين من أهل العربية والأصول أن الاستثناء المنقطع مجاز واقع على خلاف الأصل، وأنه لا يحمل على المنقطع إلا لتعذر المتصل، بل ربما عدلوا عن ظاهر اللفظ الذي هو المتبادر إلى الذهن مخالفين له، لغرض الحمل على المتصل الذي هو الظاهر من الاستثناء كما صرح به الشارح العضدي حيث قال: واعلم أن الحق أن المتصل أظهر، فلا يكون مشتركاً ولا للمشترك، بل حقيقة فيه ومجاز في المنقطع، ولذلك لم يحمله علماء الأمصار على المنفصل إلا عند تعذر المتصل حتى عدلوا للحمل على المتصل من الظاهر وخالفوه، ومن ثم قالوا في قوله: له عندي مائة درهم إلا ثوباً، وله علي إبل إلا شاة، معناه: إلا قيمة ثوب أو قيمة شاة، فيرتكبون الإضمار وهو خلاف الظاهر ليصير متصلاً، ولو كان في المنقطع ظاهراً لم يرتكبوا مخالفة ظاهر حذراً عنه. انتهى) (١).

(١) إحقاق الحق وإزهاق الباطل ٣ / ٢١ - ٢٢.

الفصل الخامس

دلالة الآية على الإمامة والولاية

وكيف كان... فالآية المباركة تدل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من وجوه:

١ - القرابة النسبية والإمامة:

إنه إن لم يكن للقرابة النسبية دخل وأثر في الإمامة والخلافة، فلا ريب في تقدم أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كلما يكون وجهها لاستحقاقها فهو موجود فيه على النحو الأتم الأكمل الأفضل... لكن لها دخلا وأثرا كما سنرى..

ولقد أجاد السيد ابن طاووس الحلي حيث قال - ردا على الجاحظ في رسالته العثمانية - ما نصه:

(قال: وزعمت العثمانية: إن أحدا لا ينال الرئاسة في الدين بغير الدين.

وتعلق في ذلك بكلام بسيط عريض يملأ كتابه ويكثر خطابه، بألفاظ منضدة، وحروف مسددة كانت أو غير مسددة. بيان ذلك:

إن الإمامية لا تذهب إلى أن استحقاق الرئاسة بالنسب، فسقط جميع ما أسهب فيه الساقط، ولكن الإمامية تقول: إن كان النسب وجه الاستحقاق فبنو هاشم أولى به، ثم علي أولاهم به، وإن يكن بالسبب فعلي أولى به إذ

كان صهر رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن يكن بالتربية فعلي أولى به، وإن يكن بالولادة من سيدة النساء فعلي أولى به، وإن يكن بالهجرة فعلي مسببها بمبيته على الفراش، فكل مهاجري بعد مبته في ضيافته عدا رسول الله، إذ الجميع في مقام عبده وخوله، وإن يكن بالجهاد فعلي أولى به، وإن يكن بحفظ الكتاب فعلي أولى به، وإن يكن بتفسيره فعلي أولى به على ما أسلفت، وإن يكن بالعلم فعلي أولى به، وإن يكن بالخطابة فعلي أولى به، وإن يكن بالشعر فعلي أولى به.

قال الصولي فيما رواه: كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلي أشعرهم.

وإن يكن بفتح أبواب المباحث الكلامية فعلي أولى به، وإن يكن بحسن الخلق فعلي أولى به، إذ عمر شاهد به، وإن يكن بالصدقات فعلي - على ما سلف - أولى به، وإن يكن بالقوة البدنية فعلي أولى به، بيانه: باب خير، وإن يكن بالزهد فعلي أولى به في تقشفه وبكائه وخشوعه وفنون أسبابه وتقدم إيمانه، وإن يكن بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في فضله فعلي أولى به، بيانه: ما رواه ابن حنبل وغيره على ما سلف، وإن يكن بالقوة الواعية فعلي أولى به، بيانه: قول النبي صلى الله عليه وآله: (إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعي، وحق على الله أن تعي)، وإن يكن بالرأي والحكم فعلي أولى به، بيانه: شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله له على ما مضى بالحكمة، وغير ذلك مما نبهنا عليه فيما مضى.

وإذا تقرر هذا بان معنى التعلق لمن يذكر النسب إذا ذكره، ولهذا تعجب أمير المؤمنين عليه السلام حيث يستولى على الخلافة بالصحابة،

ولا يستولى عليها بالقرابة والصحابة.
ثم إني أقول: إن أبا عثمان أخطأ في قوله: (إن أحدا لا ينال الرئاسة في الدين بغير الدين).
بيانه: أنه لو تخلى صاحب الدين من السداد ما كان أهلا للرئاسة، وهو منع أن ينالها أحد إلا بالدين، والاستثناء من النفي إثبات حاضر في غير ذلك من صفات ذكرتها في كتابي المسمى (بالآداب الحكمية) متكررة جدا، ومنها ما هو ضروري، ومنها ما هو دون ذلك.
ومن بغي عدو الإسلام أن يأتي متلفظا بما تلفظ به، وأمير المؤمنين عليه السلام الخصم، وتيجان شرفه المصادمة، ومجد سؤدده المدفوع، إذ هو صاحب الدين، وبه قام عموده، ورست قواعده، وبه نهض قاعده، وأفرغت على جيد الإسلام قلائده.
وأقول بعد هذا: إن للنسب أثرا في الرئاسة قويا.
بيانه: أنه إذا تقدم على أرباب الشرف النسبي من لا يدانيهم، وقادهم من لا يقاربهم ولا يضاهيهم، كانوا بالأخلق عنه نافرين آنفين، بل إذا تقدم على أهل الرئيس الفائق غير عصبته، وقادهم غير القريب الأدنى من لحمته، كانوا بالأخلق عنه حائدين متباعدين، وله قالين، وذلك مظنة الفساد في الدين والدنيا، وقد ينخرم هذا اتفاقا، لكن المناط الظاهر هو ما إليه أشرت، وعليه عولت.
وأقول: إن القرآن المجيد لما تضمن العناية بالأقربين من ذرية رسول الله صلى الله عليهم ومواددتهم، كان ذلك مادة تقديمهم مع الأهلية التي لا يرجح غيرهم عليهم فيها، فكيف إذا كان المتقدم عليهم لا يناسبهم فيها ولا يدانيها؟!!

قال الثعلبي بعد قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) بعد أن حكى شيئا ثم قال: فأخبرني الحسين بن محمد، [قال:] حدثنا برهان بن علي الصوفي، [قال:] حدثنا حرب بن الحسن الطحان، [قال:] حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

وروى فنونا جمعة غير هذا من البواعث علي محبة أهل البيت، فقال: أخبرنا أبو حسان المزكي، [قال:] أخبرنا أبو العباس، محمد بن إسحاق، [قال:] حدثنا الحسن بن علي بن زياد السري، [قال:] حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، [قال:] حدثنا حسين الأشقر، [قال:] حدثنا قيس، [قال:] حدثنا الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدهما.

وقال: أخبرنا أبو بكر بن الحرث، [قال:] حدثنا أبو السبح، [قال:] حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، [قال:] أخبرنا إسماعيل بن يزيد، [قال:] حدثنا قتيبة بن مهران، [قال:] حدثنا عبد الغفور أبو الصباح، عن أبي هاشم الرماني، عن زاذان، عن علي رضي الله عنه، قال: فينا في آل حم، إنه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن، ثم قرأ (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى).

وقال الكلبي: قل لا أسألكم على الإيمان جعلاً إلا أن توادوا قرابتي،

وقد رأيت أن أذكر شيئاً من الآي الذي يحسن أن تتحدث عنده (١). أقول:

لا ريب في أن للنسب والقرب النسبي تأثيراً، وأن للعناية الإلهية ب (القريب) - أي: بعلي والزهراء بضعة النبي وولديهما - حكمة، وفي السنة النبوية على ذلك شواهد وأدلة نشير إلى بعضها بإيجاز:

أخرج مسلم والترمذي وابن سعد وغيرهم عن واثلة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: (إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) (١).

قال النووي بشرحه: (استدل به أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفء لهم، ولا غير بني هاشم كفء لهم إلا بني المطلب، فإنهم هم وبني هاشم شيء واحد، كما صرح به في الحديث الصحيح) (٢).

وعقد الحافظ أبو نعيم: (الفصل الثاني: في ذكر فضيلته صلى الله عليه [وآله] وسلم بطيب مولده وحسبه ونسبه وغير ذلك) فذكر فيه أحاديث كثيرة بالأسانيد، منها ما تقدم، ومنها الرواية التالية:

(إن الله تعالى قسم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، ثم جعل القسمين أثلاثاً، فجعلني في خيرها ثلثاً، ثم جعل الأثلاث قبائل،

(١) بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية: ٣٨٧ - ٣٩١.

(٢) جامع الأصول ٩ / ٣٩٦ عن مسلم والترمذي، الطبقات الكبرى ١ / ٢٠، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٦٢.

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٥ / ٣٦.

فجعلني في خيرها قبيلة، ثم جعل القبائل بيوتا، فجعلني في خيرها بيتا،
فذلك قوله: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)
الآية (١).

وذكر الحافظ محب الدين الطبري بعض هذه الأحاديث تحت عنوان
(ذكر اصطفائهم) و (ذكر أنهم خير الخلق) (٢).

وقال القاضي عياض: (الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن
خلقا وخلقا، وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا) فذكر فيه
فوائد جملة في كلام طويل (٣).

إذن، هناك ارتباط بين (آية المودة) و (آية التطهير) وأحاديث
(الاصطفاء) و (أنهم خير خلق الله).

ثم إن في أخبار السقيفة والاحتجاجات التي دارت هناك بين من
حضرها من المهاجرين والأنصار ما يدل على ذلك دلالة واضحة، فقد
أخرج البخاري أن أبا بكر خاطب القوم بقوله: (لن تعرف العرب هذا الأمر
إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا) (٤) ولا يستريب
عاقل في أن عليا عليه السلام هو الأشرف - من المهاجرين والأنصار كلهم -
نسبا ودارا، فيجب أن يكون هو الإمام.
بل روى الطبري وغيره أنه قال كلمة أصرح وأقرب في الدلالة، فقال

(١) دلائل النبوة.

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ١٠.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٤٦.

(٤) صحيح البخاري / كتاب الحدود - الباب ٣١، وانظر: الطبري ٣ / ٢٠٣، سيرة ابن
هشام ٢ / ٦٥٧، وغيرهما.

الطبري إنه قال في خطبته: (فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم ولدينهم، وكل الناس لهم مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم. فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن به وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم في ذلك إلا ظالم) (١).

وفي رواية ابن خلدون: (نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع في ذلك) (٢).

وفي رواية المحب الطبري عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب: (فكنا - معشر المهاجرين - أول الناس إسلاما، ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه، ونحن أهل الخلافة، وأوسط الناس أنسابا في العرب، ولدتنا العرب كلها، فليس منهم قبيلة إلا لقريش فيها ولادة، ولن تصلح إلا لرجل من قريش...) (٣).

وهل اجتمعت هذه الصفات - في أعلى مراتبها وأسمى درجاتها - إلا في علي عليه السلام؟! إن عليا عليه السلام هو الذي توفرت فيه هذه الصفات واجتمعت الشروط... فهو (عشيرة النبي) و (ذو رحمه) و (وليه) وهو (أول من عبد الله في الأرض وآمن به) فهو (أحق الناس بهذا الأمر من بعده) و (لا ينازعه في ذلك إلا ظالم)!!

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢١٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٨٥٤.

(٣) الرياض النضرة ١ / ٢١٣.

ومن هنا نراه عليه السلام يحتج على القوم في الشورى ب (الأقربية)
فيقول: (أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه
[وآله] وسلم في الرحم مني، ومن جعله نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه
نساءه؟! قالوا: اللهم لا) الحديث (١).
وهذا ما اعترف به له عليه السلام طلحة والزبير، حين راجعه الناس
بعد قتل عثمان ليبياعوه، فقال - في ما روي عن ابن الحنفية -: (لا حاجة
لي في ذلك، عليكم بطلحة والزبير.
قالوا: فانطلق معنا. فخرج علي وأنا معه في جماعة من الناس، حتى
أتينا طلحة بن عبيد الله فقال له: إن الناس قد اجتمعوا ليبياعوني ولا حاجة
لي في بيعتهم، فابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله.
فقال له طلحة: أنت أولى بذلك مني وأحق، لسابقتك وقرابتك، وقد
اجتمع لك من هؤلاء الناس من قد تفرق عني.
فقال له علي: أخاف أن تنكث بيعتي وتغدر بي!
قال: لا تخافن ذلك، فوالله لا ترى من قبلي أبدا شيئا تكره.
قال: الله عليك كفيل.
ثم أتى الزبير بن العوام - ونحن معه - فقال له مثل ما قال لطلحة ورد
عليه مثل الذي رد عليه طلحة (٢).
هذا، وقد كابر الجاحظ في ذلك، في رسالته التي وضعها للدفاع
عن العثمانية، فرد عليه السيد ابن طاووس الحلي - طاب ثراه - قائلا:

(١) الصواعق المحرقة: ٩٣ عن الدارقطني.

(٢) كنز العمال ٥ / ٧٤٧ - ٧٥٠.

(وتعلق بقوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى).
وليس هذا دافعا كون القرابة إذا كان ذا دين وأهلية أن يكون أولى
من غيره وأحق ممن سواه بالرئاسة.
وتعلق بقول رسول الله لجماعة من بني عبد المطلب: إني لا أغني
عنكم من الله شيئا.

وهي رواية لم يسندها عن رجال، ولم يضيفها إلى كتاب.
ومما يرد عليها ما رواه الثعلبي، قال: وأخبرنا يعقوب بن السري،
[قال:] أخبرنا محمد بن عبد الله الحفيد، [قال:] حدثنا عبد الله بن أحمد
ابن عامر، [قال:] حدثني أبي، حديث علي بن موسى الرضا عليه السلام،
قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، [قال:] حدثني أبي جعفر بن محمد،
[قال:] حدثنا أبي محمد بن علي، [قال:] حدثنا أبي علي بن الحسين
[قال:] حدثنا أبي الحسين بن علي، [قال:] حدثنا أبي علي بن أبي طالب
عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (حرمت الجنة على
من ظلم أهل بيته وأذاني في عترتي، ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد
عبد المطلب ولم يجازه عليها، فأنا جازيه [به] غدا إذا لقيني في القيامة.
ومن كتاب الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى
المرزباني (في ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه
السلام) ما يشهد بتكذيب قصد الجاحظ ما حكايته:
ومن سورة النساء، حدثنا علي بن محمد، قال: حدثني الحسن بن
الحكم الحبري، قال: حدثنا حسن بن حسين، قال: حدثنا حيان ابن
الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله تعالى: (واتقوا الله

الذي تساءلون به والأرحام)... الآية، نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وذوي أرحامه، وذلك أن كل سبب ونسب منقطع [يوم القيامة] إلا ما كان من سببه ونسبه، (إن الله كان عليكم رقيبا). والرواية عن عمر شاهدة بمعنى هذه الرواية حيث ألح بالتزويج عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وتعلق بقوله تعالى: (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون). أقول: إن الجاحظ جهل أو تجهل، إذ هي في شأن الكافرين، لا في سادات المسلمين أو أقرباء رسول رب العالمين. بيانه: قوله تعالى: (ولا هم ينصرون).

وتعلق بقوله تعالى: (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) ولم يتم الآية، تدليسا وانحرافا، أو جهلا، أو غير ذلك، والأقرب بالأمارات الأول، لأن الله تعالى تمم ذلك بقوله: (ولا هم ينصرون) * إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم).

وخلصاء الذرية والقراة مرحومون بالآي والأثر، فسقط تعلقه، مع أن هذا جميعه ليس داخلا في كون ذي الدين والأهلية لا يكون له ترجيح في الرئاسة وتعلق له بالرئاسة.

وتعلق بقوله تعالى: (يوم لا ينفع مال ولا بنون) * إلا من أتى الله بقلب سليم) وليس هذا مما يدخل في تقريره الذي شرع فيه، وإن كان حديثا خارجا عن ذلك، فالجواب عنه: بما أن المفسرين أو بعضهم قالوا في معنى قوله تعالى: (سليم) أي: لا يشرك، وهذا صحيح.

وتعلق بقوله تعالى: (اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود) وليس هذا من الرئاسة الدنياوية في شيء. وبعد، فهو مخصوص بقرابة النبي عليه السلام بالأثر السالف عن الرضا.

وبعد، فإن المفسرين قالوا عند قوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قالوا: الشفاعة، وإذا كان الرسول شافعا في عموم الناس فأولى أن يشفع في ذريته ورحمه، وكذا قيل في قوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) إنها الشفاعة.

وتعلق بقوله تعالى: (واتل عليهم نبأ ابني آدم) وليس هذا مما حاوله من سابق تقريره في شيء.

وتعلق في قصة نوح وكنعان، وليس هذا نحن فيه في شيء، أين كنعان من سادات الإسلام؟!

وتعلق بقوله تعالى: (لا ينال عهدي الظالمين) وللإمامية في هذا مباحث سديدة، إذ قالوا: من سبق كفره، ظالم لا محالة فيما مضى، فلا يكون أهلا للرئاسة، فهذه واردة على الجاحظ لا له.

وروا في شيء من ذلك الرواية من طرق القوم، وساق ما لا صيور له فيما نحن بصدد (١).

٢ - وجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة:

إنه ليس المراد من (المودة) هو (المحبة المجردة)، لا سيما في مثل

(١) بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية: ٣٩١ - ٣٩٧.

الآية المباركة (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة...) فإنه قد جعلت (المودة) - بناء على اتصال الاستثناء - أجرا للرسالة، ومن المعلوم أنه لولا التساوي والتناسب بين الشئ ومقابلته لم يصدق على الشئ عنوان (الأجر)، وحينئذ فإذا لاحظنا عظمة الرسالة المحمدية عند الله وعند البشرية اهتدينا إلى عظمة هذا الأجر وهو (المودة في القربى). وكذا بناء على الانقطاع، لأن الروايات قد دلت على أن المسلمين اقترحوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدفعوا إليه في مقابل أداء الرسالة من الأموال ما يكون معه في سعة، فأجاب - بناء على هذا القول - بالرد وأنه لا يسألهم أجرا أصلا، ثم قال: ولكن (المودة في القربى) فجعلها هي الشئ المطلوب منهم والواجب عليهم...
فإيجاب المودة - في مثل هذا المقام، دون غيرها مما كان بالإمكان أن يطلبه منهم - يدل على أن هذا الأمر أهم الأشياء عند الله والرسول. وعلى الجملة.. ليس المراد مجرد المودة والمحبة، بل هي المحبة المستتبعة للانقياد والطاعة، قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (١) والاتباع يعني إطاعة الأمر كما في الآية المباركة: (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) (٢).
والاتباع، والانقياد التام، والإطاعة المطلقة، هو معنى الإمامة والولاية... قال العلامة الحلي: (الرابعة: قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) روى الجمهور...

(١) سورة النساء ٤: ٣١. وراجع التفاسير كالرازي ٨ / ١٧.

(٢) سورة النور ٢٤: ٥٤.

ووجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة (١).
وقال أيضا: (البرهان السابع: قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) روى أحمد بن حنبل...
وغير على من الصحابة والثلاثة لا تجب مودته، فيكون علي أفضل فيكون هو الإمام، ولأن مخالفته تنافي المودة وبامثال أوامره تكون مودته، فيكون واجب الطاعة، وهو معنى الإمامة (٢).
٣ - وجوب المحبة المطلقة يستلزم الأفضلية:
وأیضا، فإن عليا ممن وجبت محبته ومودته على نحو الإطلاق، ومن وجبت محبته كذلك كان هو الأحب، ومن كان أحب الناس إلى الله ورسوله كان أفضلهم، ومن كان أفضل كان هو الإمام... فعلي عليه السلام هو الإمام بعد رسول الله.
أما المقدمة الأولى فواضحة جدا من الآية المباركة.
وأما المقدمة الثانية فواضحة كذلك، ومما يدل على أن عليا عليه السلام أحب الخلق إلى الله ورسوله: حديث الطائر، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وقد أهدي إليه طائر - (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، فجاء علي فأكل معه) رواه عنه من الصحابة:
١ - علي أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ - عبد الله بن العباس.
٣ - أبو سعيد الخدري.

(١) نهج الحق: ١٧٥.

(٢) منهاج الكرامة - المطبوع في آخر المجلد الثاني من (منهاج السنة) - : ٧٤.

- ٤ - سفينة.
 - ٥ - أبو الطفيل عامر بن واثلة.
 - ٦ - أنس بن مالك.
 - ٧ - سعد بن أبي وقاص.
 - ٨ - عمرو بن العاص.
 - ٩ - أبو مرزوم يعلى بن مرة.
 - ١٠ - جابر بن عبد الله الأنصاري.
 - ١١ - أبو رافع.
 - ١٢ - حبشي بن جنادة.
- ورواه عنهم من التابعين عشرات الرجال.
ومن مشاهير الأئمة والحفاظ والعلماء في كل قرن، أمثال:
أبي حنيفة، إمام المذهب.
وأحمد بن حنبل، إمام المذهب.
وأبي حاتم الرازي.
وأبي عيسى الترمذي.
وأبي بكر البزار.
وأبي عبد الرحمن النسائي.
وأبي الحسن الدارقطني.
وأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.
وأبي بكر ابن مردويه.
وأبي نعيم الأصفهاني.
وأبي بكر البيهقي.

وأبي عمر ابن عبد البر.
وأبي محمد البغوي.
وأبي الحسن العبدري.
وأبي القاسم ابن عساكر.
وابن حجر العسقلاني.
وجلال الدين السيوطي.
وعلى الجملة، فهذا الحديث نص في أن عليا أحب الخلق إلى الله
ورسوله (١).
وأما المقدمة الثالثة فهي واضحة جدا كذلك، وقد نص غير واحد
منهم على ذلك أيضا:
قال ولي الدين ابن العراقي، في كلام له نقله الحافظ القسطلاني وابن
حجر المكي عنه: (المحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت
محبتنا الدينية له أكثر) (٢).
وقال الرازي بتفسير (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله): (والمراد من محبة الله تعالى له إعطاؤه الثواب) (٣).
ومن الواضح: أن من كان الأحب إلى الله كان الأكثر ثوابا، والأكثر
ثوابا هو الأفضل قطعاً.
وقال ابن تيمية: (والمقصود أن قوله: (وغير علي من الثلاثة لا تجب

(١) وهو يشكل الجزءين الثالث عشر والرابع عشر من كتابنا الكبير: (نفحات الأزهار
في خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار) وهما تحت الطبع.
(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الصواعق المحرقة: ٩٧.
(٣) تفسير الرازي ٨ / ١٧.

مودته) كلام باطل عند الجمهور، بل مودة هؤلاء أوجب عند أهل السنة من مودة علي، لأن وجوب المودة على مقدار الفضل، فكل من كان أفضل كانت مودته أكمل...

وفي الصحيح: إن عمر قال لأبي بكر يوم السقيفة - بل أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله (١).

وقال التفتازاني: (إن (أحب خلقك) يحتمل تخصيص أبي بكر وعمر منه، عملاً بأدلة أفضليتهما) (٢).

وعلى الجملة، فإن هذه المقدمة واضحة أيضاً ولا خلاف لأحد فيها. وأما المقدمة الرابعة فبدليل العقل والنقل، وبه صرح غير واحد من أعلام أهل الخلاف، حتى أنهم نقلوا عن الصحابة ذلك كما تقدم في بعض الكلمات في فصل الشبهات، وقال الشريف الجرجاني في الشورى وأنه لماذا جعلت في هؤلاء الستة دون غيرهم:

(وإنما جعلها شورى بينهم، لأنه رآهم أفضل ممن عداهم وأنه لا يصلح للإمامة غيرهم) (٣).

وقال ابن تيمية: (تولية المفضل مع وجود الأفضل ظلم عظيم) (٤). وقال محب الدين الطبري: (قولنا: لا ينعقد ولاية المفضل عند وجود الأفضل) (٥).

(١) منهاج السنة ٧ / ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) شرح المقاصد ٥ / ٢٩٩.

(٣) شرح المواقف ٨ / ٣٦٥.

(٤) منهاج السنة: ٣ / ٢٧٧ الطبعة القديمة.

(٥) الرياض النضرة - باب خلافة أبي بكر - ١ / ٢١٦.

وكذا قال غيرهم... ولا حاجة إلى ذكر كلماتهم.
وإلى هذا الوجه أشار العلامة الحلي في كلامه السابق.
وقال المحقق نصير الدين الطوسي في أدلة أفضلية أمير المؤمنين
عليه السلام: (وجوب المحبة).

فقال العلامة بشرحه: (هذا وجه تاسع عشر وتقريره: إن عليا عليه
السلام كان محبته ومودته واجبة دون غيره من الصحابة، فيكون أفضل
منهم. وبيان المقدمة الأولى: إنه كان من أولي القربى، فتكون مودته واجبة
لقوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (١).
٤ - وجوب المحبة المطلقة يستلزم العصمة:

وأيضاً: فإن إطلاق الأمر بمودتهم دليل على عصمتهم، وإذا ثبتت
العصمة ثبتت الإمامة، وهذا واضح.
أما أن إطلاق الأمر بمودتهم - الدال على الإطاعة المطلقة - دليل على
عصمتهم، فيكفي فيه كلام الفخر الرازي بتفسير قوله تعالى: (أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٢).
فإنه قال:

(إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية،
ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن
الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣١٠.

(٢) سورة النساء ٤: ٥٩.

يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهياً عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنه محال. فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن (أولي الأمر) المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً (١).

فهذا محل الشاهد من كلامه، وأما من (أولي الأمر) الذين أمرنا بإطاعتهم؟ فذاك بحث آخر..

وعلى الجملة، فوجوب الإطاعة والاتباع على الإطلاق - المستفاد من وجوب المحبة المطلقة - مستلزم للعصمة.

وقد ذكر هذا الوجه غير واحد من علمائنا:

قال البياضى العاملي رحمه الله: (جعل الله أجر رسالة نبيه في مودة أهله في قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)).

قالوا: المراد القربى في الطاعات، أي: في طاعة أهل القربى.

قلنا: الأصل عدم الإضمار، ولو سلم فلا يتصور إطلاق الأمر بمودتهم إلا مع عصمتهم.

قالوا: المخاطب بذلك الكفار، يعني: راقبوا نسبي منكم، يعني القرشية.

قلنا: الكفار لا تعتقد للنبي أجراً حتى تخاطب بذلك.

(١) تفسير الرازي ١٠ / ١٤٤.

على أن الأخبار المتفق عليها تنافي الوجهين، ففي صحيح البخاري... (١).

وقال السيد الشبر: (وجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة، لأن المودة إنما تجب مع العصمة، إذ مع وقوع الخطأ منهم يجب ترك مودتهم كما قال تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (٢). وغيرهم عليهم السلام ليس بمعصوم اتفاقاً. فعلي وولده الأئمة) (٣).

دحض الشبهات المثارة على دلالة الآية على الإمامة:
أقول:

وهذا كلام السيد الشهيد التستري في الرد على ابن روزبهان، الذي أشكل على العلامة الحلي..

* قال ابن روزبهان: (ونحن نقول: إن مودته واجبة على كل المسلمين، والمودة تكون مع الطاعة، ولا كل مطاع يجب أن يكون صاحب الزعامة الكبرى).

فأجاب السيد رحمه الله: (وأما ما ذكره من أنه لا يدل على خلافة علي عليه السلام فجهالة صرفة أو تجاهل محض! لظهور دلالة الآية على أن مودة علي عليه السلام واجبة بمقتضى الآية، حيث جعل الله تعالى أجر الإرسال إلى ما يستحق به الثواب الدائم مودة ذوي القربى، وإنما يجب

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ١ / ١٨٨.

(٢) سورة المجادلة ٥٨: ٢٢.

(٣) حق اليقين في معرفة أصول الدين ١ / ٢٧٠.

ذلك مع عصمتهم، إذ مع وقوع الخطأ عنهم يجب ترك مودتهم لقوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية. وغير على ليس بمعصوم بالاتفاق، فتعين أن يكون هو الإمام.

وقد روى ابن حجر في الباب الحادي عشر من صواعقه عن إمامه الشافعي شعرا في وجوب ذلك برغم أنف الناصب، وهو قوله: يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له على أن إقامة الشيعة للدليل على إمامة علي عليه السلام على أهل السنة غير واجب بل تبرعي، لاتفاق أهل السنة معهم على إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غاية الأمر أنهم ينفون الوساطة وأهل السنة يثبتونها، والدليل على المثبت دون النافي كما تقرر في موضعه، إلا أن يرتكبوا خرق الإجماع بإنكار إمامته مطلقا، فحينئذ يجب على الشيعة إقامة الدليل، والله الهادي إلى سواء السبيل (١).

وقال الشيخ المظفر في جواب ابن روزبهان بعد كلام له: (فيتعين أن يكون المراد بالآية: الأربعة الأطهار، وهي تدل على أفضليتهم وعصمتهم وأنهم صفوة الله سبحانه، إذ لو لم يكونوا كذلك لم تجب مودتهم دون غيرهم، ولم تكن مودتهم بتلك المنزلة التي ما مثلها منزلة، لكونها أجرا للتبليغ والرسالة الذي لا أجر ولا حق يشبهه. ولذا لم يجعل الله المودة لأقارب نوح وهود أجرا لتبليغهما، بل قال

(١) إحقاق الحق - في الرد على ابن روزبهان - ٣ / ٢٣.

لنوح: (قل لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الله) وقال لهود: (وقل لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون).

فتنحصر الإمامة بقربي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لا تصح إمامة المفضل مع وجود الفاضل، لا سيما بهذا الفضل الباهر. مضافا إلى ما ذكره المصنف - رحمه الله - من أن وجوب المودة مطلقا يستلزم وجوب الطاعة مطلقا، ضرورة أن العصيان ينافي الود المطلق، ووجوب الطاعة مطلقا يستلزم العصمة التي هي شرط الإمامة، ولا معصوم غيرهم بالإجماع، فتتحدد الإمامة بهم ولا سيما مع وجوب طاعتهم على جميع الأمة.

وقد فهم دلالة الآية على الإمامة الصحابة، ولذا اتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم فقالوا: ما يريد إلا أن يحثنا على قرابته بعده، كما سمعته من بعض الروايات السابقة (١) وكل ذي فهم يعرفها من الآية الشريفة، إلا أن القوم أبوا أن يقرؤا بالحق ويؤدوا أجر الرسالة، فإذا صدرت من أحدهم كلمة طيبة لم تدعه العصبية حتى يناقضها... (٢)!

* وبالتأمل في الوجوه التي ذكرناها وما نص عليه علماؤنا، يظهر الجواب عن كلام السعد التفتازاني حيث ذكر في مباحث الأفضلية قائلا: (القائلون بأفضلية علي رضي الله عنه تمسكوا بالكتاب والسنة والمعقول. أما الكتاب فقوله تعالى: (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) الآية... وقوله تعالى: (قل لا

(١) المعجم الكبير ١٢ / ٢٦، وغيره.

(٢) دلائل الصدق لنهج الحق ٢ / ١٢٥ - ١٢٦.

أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قال سعيد بن جبير: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها. ولا يخفى أن من وجبت محبته بحكم نص الكتاب كان أفضل. وكذا من ثبتت نصرته للرسول بالعطف في كلام الله تعالى عنه على اسم الله وجبريل، مع التعبير عنه ب (صالح المؤمنين) وذلك قوله تعالى: (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين). فعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن المراد به علي (...).

قال: (والجواب: إنه لا كلام في عموم مناقبه ووفور فضائله واتصافه بالكمالات واختصاصه بالكرامات، إلا أنه لا يدل على الأفضلية - بمعنى زيادة الثواب والكرامة عند الله - بعد ما ثبت من الاتفاق الجاري مجرى الإجماع على أفضلية أبي بكر ثم عمر، والاعتراف من علي بذلك! على أن في ما ذكر مواضع بحث لا تخفى على المحصل، مثل: إن المراد بأنفسنا نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يقال: دعوت نفسي إلى كذا. وأن وجوب المحبة وثبوت النصرة على تقدير تحققه في حق علي - رضي الله عنه - فلا اختصاص به (١). أقول:

قد عرفت أن الآية المباركة تدل على وجوب محبة علي عليه السلام، ووجوب المحبة المطلقة يدل على أنه الأحب عند الله ورسوله، والأحبية دالة على الأفضلية.

(١) شرح المقاصد ٥ / ٢٩٥ - ٢٩٩.

وأيضاً: وجوب المحبة المطلقة يستلزم العصمة وهي شرط الإمامة.
وأما دعوى أفضلية أبي بكر وعمر فأول الكلام... كدعوى عدم
الاختصاص بعلي عليه السلام، لقيام الإجماع على عدم عصمة أبي بكر
وعمر...

* وقد اضطرب ابن تيمية في هذا المقام، فقال: (إنا نسلم أن علياً
تجب مودته وموالاته بدون الاستدلال بهذه الآية، لكن ليس في وجوب
موالاته ومودته ما يوجب اختصاصه بالإمامة والفضيلة. وأما قوله: والثلاثة
لا تجب مودتهم، فممنوع، بل يجب أيضاً مودتهم وموالاتهم، فإنه قد ثبت
أن الله يحبهم، ومن كان يحبه الله وجب علينا أن نحبه، فإن الحب في الله
والبغض في الله واجب، وهو أوثق عرى الإيمان، وكذلك هم من أكابر
أولياء الله المتقين، وقد أوجب الله موالاتهم، بل قد ثبت أن الله رضي عنهم
ورضوا عنه بنص القرآن، وكل من رضي الله عنه فإنه يحبه، والله يحب
المتقين والمحسنين والمقسطين والصابرين...) (١).

فإن الرجل قد خصم نفسه باعترافه بوجوب محبة: المتقين
والمحسنين والمقسطين والصابرين... بل مطلق المؤمنين... فإن أحداً
لا ينكر شيئاً من ذلك، ومن يقول بأن المؤمن - إذا كان مؤمناً حقاً - لا يجب
أن نحبه لا سيما إذا كان مع ذلك من أهل التقوى والإحسان والصبر؟!
لكن الكلام في المحبة المطلقة، وفي الأهمية عند الله ورسوله،
المستلزمة للأفضلية وللعصمة ووجوب الطاعة... هذه الأمور التي لم يقل
أحد بوجودها في غير علي عليه السلام، لا سيما العصمة، إذ قام الإجماع

(١) منهاج السنة ٧ / ١٠٣ - ١٠٤.

على عدمها في غيره.
ثم إن ابن تيمية شرع يستدل ببعض الأخبار التي يروونها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن أحب الناس إليه عائشة!! قيل: فمن الرجال؟ قال: أبوها! وأن عمر قال لأبي بكر في السقيفة: أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله!!

وكل عاقل يفهم ما في الاستدلال بمثل هذه الأخبار!!
* ولقد أحسن الآلوسي حيث لم يستدل بشئ من أخبارهم في هذا البحث، فإنه قد انتحل كلام عبد العزيز الدهلوي واعتمده في الجواب عن استدلال الإمامية، إلا أنه بتر كلامه ولم يأت به إلى الآخر! وهو ما سنشير إليه:

قال الآلوسي: (ومن الشيعة من أورد الآية في مقام الاستدلال على إمامة علي كرم الله تعالى وجهه، قال: علي كرم الله تعالى وجهه واجب المحبة، وكل واجب المحبة واجب الطاعة، وكل واجب الطاعة صاحب الإمامة. ينتج: علي رضي الله تعالى عنه صاحب الإمامة. وجعلوا الآية دليل الصغرى.

ولا يخفى ما في كلامهم هذا من البحث:
أما أولا: فلأن الاستدلال بالآية على الصغرى لا يتم إلا على القول بأن معناها: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوا قرابتي وتحبوا أهل بيتي. وقد ذهب الجمهور إلى المعنى الأول. وقيل في هذا المعنى: إنه لا يناسب شأن النبوة لما فيه من التهمة، فإن أكثر طلبة الدنيا يفعلون شيئا ويسألون عليه ما يكون فيه نفع لأولادهم وقراباتهم. وأيضا فيه منافاة ما لقوله تعالى:

(وما تسألهم عليه من أجر).
وأما ثانيا: فلأننا لا نسلم أن كل واجب المحبة واجب الطاعة، فقد ذكر ابن بابويه في كتاب الإعتقادات: إن الإمامية أجمعوا على وجوب محبة العلوية، مع أنه لا يجب طاعة كل منهم.
وأما ثالثا: فلأننا لا نسلم أن كل واجب الطاعة صاحب الإمامة، أي الزعامة الكبرى، وإلا لكان كل نبي في زمنه صاحب ذلك، ونص: (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) يأبى ذلك.
وأما رابعا: فلأن الآية يقتضي أن تكون الصغرى: أهل البيت واجبو الطاعة، ومتى كانت هذه صغرى قياسهم لا ينتج النتيجة التي ذكروها، ولو سلمت جميع مقدماته، بل ينتج: أهل البيت صاحبوا الإمامة، وهم لا يقولون بعمومه.
إلى غير ذلك من الأبحاث. فتأمل ولا تغفل (١).
أقول:

هذا كله كلام الدهلوي بعينه! وقد جاء بعده في (التحفة الاثنا عشرية) الاستدلال بأحاديث.
* قال الدهلوي: (روى أبو طاهر السلفي في مشيخته عن أنس، قال: قال رسول الله: حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي. وروى ابن عساكر عنه نحوه. ومن طريق آخر عن سهل بن سعد

(١) روح المعاني ٢٩ / ٣٣.

الساعدي.

وأخرج الحافظ عمر بن محمد بن خضر الملا في سيرته عن النبي: أنه قال: إن الله تعالى فرض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما فرض عليكم الصلاة والصوم والحج.

وروى ابن عدي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، أنه قال: حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهما نفاق.

وروى ابن عساكر، عن جابر: أن النبي قال: حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما كفر.

وروى الترمذي أنه أتى بجنازة إلى رسول الله فلم يصل عليه وقال: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله).

ثم إنه التفت إلى عدم جواز إلزام الإمامية بما اختص أهل السنة بروايته، فأجاب قائلاً: (إنه وإن كانت هذه الأخبار في كتب أهل السنة فقط، لكن لما كان الشيعة يقصدون إلزام أهل السنة برواياتهم فإنه لا بد من لحاظ جميع روايات أهل السنة، ولا يصح إلزامهم برواية منها.

وإن ضيقوا على أهل السنة، أمكن إثبات وجوب محبة الخلفاء الثلاثة من كتاب الله وأقوال العترة، فقله تعالى: (يحبهم ويحبونه) نزل - بالإجماع - في حق المقاتلين للمرتدين، وقد كان الثلاثة أئمة هؤلاء المقاتلين، ومن أحبه الله وجبت محبته. وعلى هذا القياس! هذا آخر كلام الدهلوي (١).

(١) التحفة الاثنا عشرية: ٢٠٥.

أقول:

إن من الواضح عدم جواز إلزام الخصم إلا بما يرويه خاصة، أو ما اتفق الطرفان على روايته، هذا إذا كان الخبر المستدل به معتبرا عند المستدل، فإن لم يكن الخبر معتبرا حتى عند المستدل به فكيف يجوز له إلزام الطرف الآخر به؟!

ليت الدهلوي استدل - كابن تيمية - بكتابي البخاري ومسلم المعروفين بالصحيحين، فإن الأحاديث التي استدل بها كلها باطلة سنداً، وهذا هو السر في إعراض الألوسي عنها وإسقاطه لها. إن أحسن هذه الأحاديث ما أخرجه الترمذي في كتابه - وهو يعد أحد الصحاح الستة - من امتناع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة على الجنازة، قال الترمذي:

(حدثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد، قالوا: حدثنا عثمان بن زفر، حدثنا محمد بن زياد، عن محمد بن عجلان، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: أتني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجنازة رجل يصلي عليه فلم يصل عليه، فقل: يا رسول الله! ما رأيك تركت الصلاة على أحد قبل هذا؟! قال: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله!)

لكن هذا الحديث ساقط سنداً حتى عند راويه الترمذي! قال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ومحمد بن زياد

صاحب ميمون بن مهران ضعيف في الحديث جدا (١).
ثم إن الجوزي أورده في (الموضوعات) بطريقين، وقال: (الطريقان
على محمد بن زياد. قال أحمد بن حنبل: هو كذاب خبيث يضع
الحديث. وقال يحيى: كذاب خبيث. وقال السعدي والدارقطني: كذاب.
وقال البخاري والنسائي والفلاس وأبو حاتم: متروك الحديث. وقال ابن
حبان: كان يضع الحديث على الثقات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على
وجه القدح فيه) (٢).

فيظهر أن الترمذي حيث قال: (ضعيف جدا) لم يقل الحق كما هو
حقه!!

وظهر أن الحق مع الآلوسي حيث ترك الاستدلال به وهو أحسن ما
ذكر الدهلوي، فالعجب من الدهلوي كيف يستدل بحديث هذه حاله،
ويريد إلزام الشيعة به، وفي مسألة أصولية؟!
ولو وجدت مجالا لبينت حال بقية هذه الأحاديث، لكن لا حاجة إلى
ذلك بعد معرفة حال أحسنها سنداً!!
فلنعد إلى الوجوه التي وافق فيها الآلوسي الدهلوي وأخذها منه،
فنقول:

أما الأول: فجوابه: إن الصغرى تامة كما تقدم بالتفصيل، وقلنا بأن
طلب الأجر إنما هو بناء على اتصال الاستثناء، وقد عرفت حقيقة هذا
الأجر وعوده إلى المسلمين أنفسهم، فلا شبهة ولا تهمة. وأما بناء على

(١) صحيح الترمذي ٥ / ٥٨٨.

(٢) الموضوعات ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٣.

انقطاع الاستثناء فلا إشكال أصلاً.
وأما الثاني: فإن الإمامية أجمعت على وجوب محبة العلوية، بل كل مؤمن من المؤمنين، ولكن الآية المباركة دالة على وجوب المحبة المطلقة لعلي والزهراء والحسين، فلا نقض، ولذا لم يقل أحد منهم بوجوب محبة غير الأربعة والمعصومين محبة مطلقة... والكلام في المحبة المطلقة لا مطلق المحبة، فما ذكرناه جهل أو تجاهل!
وأما الثالث فيظهر جوابه مما ذكرناه، فإننا نريد المحبة المطلقة المستلزمة للعصمة، فأينما كانت، كانت الإمامة الكبرى، وأينما لم تكن، لم تكن!
وأما الرابع فيظهر جوابه مما ذكرناه أيضاً.

خلاصة البحث

فالحق مع السيد رحمه الله، إذ قال:
(هل حكم بافتراض المودة لغيرهم محكم التنزيل؟!).
بقي أن نذكر الوجه في تفسيره (الحسنة) في قوله تعالى: (ومن
يقترف حسنة) ب (المودة)... فنقول:
هذا التفسير ورد عن الأئمة الأطهار من أهل البيت، كالحسن السبط
الزكي عليه السلام في خطبته التي رواها الحاكم وغيره، وورد أيضا في غير
واحد من تفاسير أهل السنة، عن ابن عباس والسدي وغيرهما، قال
القرطبي: (قوله تعالى (ومن يقترف حسنة) أي: يكتسب، وأصل
القرف الكسب، يقال... قال ابن عباس: (ومن يقترف حسنة): المودة
لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، (نزد له فيها حسنا) أي:
نضاعف له الحسنة بعشر فصاعدا، (إن الله غفور شكور) قال قتادة:
غفور للذنوب شكور للحسنات. وقال السدي: غفور للذنوب آل محمد
عليه السلام شكور لحسناتهم) (١).
وقال أبو حيان: (وعن ابن عباس والسدي: أنها المودة في آل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وقال السدي: غفور للذنوب آل
محمد عليه السلام شكور لحسناتهم) (٢).

(١) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٤.

(٢) البحر المحيط ٧ / ٥١٦.

وقال الآلوسي: (روي ذلك عن ابن عباس والسدي) (١).
وهذا القدر كاف، وهو للقلب السليم شاف، وللمطلب واف.
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين الأشراف.
للبحث صلة...

(١) روح المعاني ٢٥ / ٣٣.

تاريخ السنة النبوية
ثلاثون عاما بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
صائب عبد الحميد

مدخل في حجة السنة:

السنة النبوية الشريفة - قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفعله، وتقريره - ثاني
مصادر التشريع في الإسلام، بعد القرآن الكريم.

والسنة النبوية بعد ثبوت صدورها عنه صلى الله عليه وآله وسلم، حجة، وحجيتها
ضرورية، من ضروريات الدين، من جحدها فقد كذب بالدين، وأنكر

القرآن الكريم، إذ إنا لم نعرف أن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى، إلا من
قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا لم يكن قوله حجة، فلا أثر للقرآن إذن!!

وإن لم تكن السنة النبوية حجة، فلا معنى لجميع العبادات

والأحكام التي جاء تفصيلها من طريق السنة فقط، كصورة الصلاة،

وأحكام الزكاة والصوم وحدودهما، ومناسك الحج، وغيرها من الأحكام

التي أمر بها القرآن الكريم، ثم جاءت السنة بتفصيلها ووضع حدودها

وشرائطها!!

فحجة السنة النبوية إذن من أكبر ضروريات الدين، بلا أدنى نزاع

في ذلك بين المسلمين (١)، بل هي بديهة لا تخفى على غير المسلمين أيضا.

القرآن الكريم يثبت حجية السنة، ويلزم حفظها واتباعها:

* قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (٢).

* وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) (٣).
* وقال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٤).

فاتباع الرسول وإطاعته تشمل اتباع سنته قطعاً، مع اتباع ما جاء به من القرآن المنزل عليه من ربه، واتباع سنته متوقف على حفظها بداهة، والرد إلى الرسول رد إلى سنته، وهو متوقف بالكامل على حفظها بداهة.
* وقال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٥).

* وقال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (٦).

(١) راجع: د. عبد الغني عبد الخالق / حجية السنة: ٢٤٥ - ٣٨٢.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٣١.

(٣) سورة النساء ٤: ٥٩.

(٤) سورة النساء ٤: ٨٠.

(٥) سورة الحشر ٥٩: ٧.

(٦) سورة الأحزاب: ٣٣: ٣٦.

* وقال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (١).

وإنما يكون حكم الله تعالى بيننا من خلال كتابه الكريم وما أنزله فيه من أحكام، وما يحكم به الكتاب فهو قضاء الله تعالى بيننا، وإلى هذا الأمر الواضح يرجع قبول الإمام علي عليه السلام بتحكيم كتاب الله بينه وبين البغاة.. والأمر هكذا مع السنة النبوية، وقد أمرنا أن نرد إليها نزاعاتنا وخلافاتنا، فما حكمت به فهو قضاء رسول الله، وإلى هذا الفهم يرجع أمر الإمام علي عليه السلام لعبد الله بن عباس حين بعثه للاحتجاج على الخوارج، حيث أمره أن يحاكمهم إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..، وكل ذلك، صغيره

وكبيره، ماضيه وحاضره، رهن بحفظ السنة النبوية المطهرة الشريفة. أمر النبي بحفظ السنة:

* قال صلى الله عليه وآله وسلم: (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٢).

* وكان صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه التي شحنها بالأحكام، من أمر ونهي وبيان، يكرر مرارا قوله: (ألا فليبلغ الشاهد الغائب) كما هو ظاهر في خطبته في حجة الوداع، وفي خطبته بغدير خم.

(١) سورة النساء ٤: ٦٥.

(٢) جامع بيان العلم: ح ١٦٠ - ١٧٥.

وغير هذا كثير في منزلة السنة ولزوم حفظها، وهو بديهي أيضا في شأن ثاني مصادر التشريع، المصدر الذي كانت مهمته الأولى التبيين عن المصدر الأول - القرآن - وتفصيله، وترجمة أحكامه وتعاليمه في الواقع المعاش، الأمر الذي لا يمكن إيكاله إلى مصدر آخر غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته، فحفظ السنة شرط حفظ الدين كله إذن. ثم عزز النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بلزوم صيانتها من أي دخيل في قول أو عمل، فقال:

* (إن كذبا علي ليس ككذب علي غيري، من يكذب علي بني له بيت في النار) (١).

* (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) (٢).

* (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد) (٣).

* (كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار) (٤).
حصيلة واحدة:

من قراءة لتلك المقدمات، أي قراءة، وبأي اتجاه، سوف نتوقع حصيلة واحدة، وهي أن تدوين السنة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أمرا مألوفاً، يزاوله بعض من قدر عليه من الصحابة، وليس أمرا محتملا وحسب.

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٣.

(٢) متفق عليه.

(٣) سنن ابن ماجه ١ / ح ١٤.

(٤) متفق عليه.

فهل لهذه الحصيلة ما يؤيدها من الواقع في ذلك العهد، فتكون حقيقة ثابتة، تستوي عندها قراءتنا لتلك المقدمات الصحيحة على قوائمها؟!

أم الواقع خلاف ذلك؟! فتبقى تلك المقدمات الصحيحة نظريات عائمة ليس لها قرار!

هذا ما نقرأه في بحثنا الأساس الآتي، حيث تداخل الأرقام، وتعانق الأدلة، ورجوع إلى العهد النبوي، الأصل، بين فقرة وأخرى. تقسيم البحث:

في لحاظ العناصر المشتركة وعوامل التمايز التي تفصل بين الأدوار التاريخية، فقد مرت السنة النبوية في هذه الحقبة المنتخبة في مرحلتين تختلفان كلياً في منهج التعامل مع السنة، وعلى أساس هذا الاختلاف والتمايز المنهجي وقع تقسيم البحث على مرحلتين: مثلت المرحلة الأولى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، فامتدت ربع قرن بعد الرسول مباشرة، فيما انحصرت المرحلة الثانية في خمس سنين هي مدة تولي الإمام علي عليه السلام الخلافة والزعامة السياسية والاجتماعية والدينية في الأمة. ودراسة كل مرحلة تقع في مباحث تؤلف مجتمعة الصورة الكاملة لتاريخ السنة في تلك المرحلة.

المرحلة الأولى
السنة في ربع قرن
نتابعها في مبحثين رئيسيين، الأول: في التدوين والرواية، والثاني:
في الموقع التشريعي.
المبحث الأول: التدوين والرواية.
هنا ثلاث علامات فارقة، أجملها الذهبي، ونفصلها في نقاط مع
مزيد من التوثيق:
الفارقة الأولى: الاحتياط في قبول الأخبار.
قال الذهبي: كان - أبو بكر - أول من احتاط في قبول الأخبار.. إن
(الجدّة) جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في
كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لك شيئاً! ثم
سأل
الناس، فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيها - أي
الجدّة -
السدس.
فقال له أبو بكر: هل معك أحد؟
فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر (١).
هذا الخبر تضمن فوائد جليّة، كان (الاحتياط في قبول الأخبار)

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٢.

أولها، وثم فائدتان لم يذكرهما الذهبي، هما:
أ - في عدالة الصحابي:

إن هذا الاحتياط كان إزاء رواية الصحابي عن رسول الله مباشرة،
فالمغيرة، الصحابي، كان يروي عن مشاهدة قد يصحبها سماع أيضا،
يقول: (حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيها السدس) ومع ذلك كان
أبو بكر

يحتاط في قبول روايته، حتى وجد لها شاهدا حضر ذلك أو سمعه من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا مبدأ متين، منسجم مع ما قرره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حفظ السنة
وصيانتها، وهو مخالف تماما لمبدأ (عدالة الصحابي) وقبول روايته مطلقا،
وإعفائه من قواعد الجرح والتعديل.

وسوف نجد أن موقف أبي بكر هذا قد سلكه عمر، وسلكه عثمان
وسلكه علي عليه السلام، سلكوه جميعا إزاء رواية الصحابي عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم

مباشرة، ليتضح من هذا كله بما لا شك فيه: أن مبدأ (عدالة الصحابي) قد
ولد متأخرا، ولم يكن له أثر حتى نهاية خلافة علي عليه السلام، بل وبعدها أيضا
بزمن غير قليل!

قال الخطيب البغدادي في الرد على من زعم أن العدالة هي إظهار
الإسلام وعدم الفسق الظاهر: يدل على صحة ما ذكرناه أن عمر بن الخطاب
رد خبر فاطمة بنت قيس، وقال: (ما كنا لندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول
امرأة لا ندري أحفظت أم لا!).

قال: وهكذا اشتهر الحديث عن علي بن أبي طالب أنه قال: (ما

حدثني أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا استحلفته) ومعلوم أنه كان يحدثه

المسلمون (١) ويستحلفهم مع ظهور إسلامهم، وأنه لم يكن يستحلف فاسقا ويقبل خبره، بل لعله ما كان يقبل خبر كثير ممن يستحلفهم مع ظهور إسلامهم وبذلهم له اليمين.

وكذلك غيره من الصحابة، روي عنهم أنهم ردوا أخبارا رويت لهم ورواتها ظاهرهم الإسلام، فلم يطعن عليهم في ذلك الفعل، ولا خولفوا فيه، فدل على أنه مذهب لجميعهم، إذ لو كان فيهم من يذهب إلى خلافه لوجب بمستقر العادة نقل قوله إلينا (٢).

إذن فمبدأ (عدالة الصحابة) ليس له عين ولا أثر في عهد الصحابة، وسوف يأتي في الفقرات اللاحقة مزيد من الشواهد الحية على ذلك.

ب - في علم الصحابي:

تحدث المغيرة هنا عن قضاء النبي في سهم الجدة، وكان قد شهد به بنفسه، وتحدث محمد بن مسلمة عن شهوده ذلك القضاء أيضا، في حين ما زال ذلك غائبا عن أبي بكر، ونحو هذا قد حصل مع عمر أيضا، وربما غابت عنه سنة مشهورة، كما في قصته مع أبي موسى الأشعري حين حدثه بحديث: (إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع) فقال له عمر: لتأتيني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك!!

فانطلق إلى مجلس من الأنصار، فقالوا: لا يشهد إلا أصاغرنا! فقام

(١) أي من الصحابة، فالذي يحدث عن رسول الله ٦ ينبغي أن تكون له صحبة.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٨١، ٨٣ مختصرا.

أبو سعيد الخدري فشهد له عند عمر، فقال عمر: خفي علي هذا من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ألهاني الصنفق بالأسواق! (١). فهذه سنة مشهورة كان يتعلمها أصاغر القوم، وقد خفيت عليه.. وكذا غاب عنه حكم السقط، حتى أخبره المغيرة ومحمد بن مسلمة بقضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢)، وغير ذلك أيضا. فهذه نافذة مطلة على حقيقة واقعة، وهي أن الصحابي ليس بوسعه أن يحيط بجميع السنة، أقوال النبي وأفعاله وتقريراته، فمنها ما يغيب عنه، فلا يشهده، ولا يسمع به بعد ذلك إلا في نازلة كهذه. وأيضا فهم في ما يشهدونه على تفاوت كبير في الحفظ والوعي: قال البراء بن عازب: ما كل الحديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل (٣). وقال مسروق - التابعي - : جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا كالإخاذ (٤)، الإخاذة تروي الراكب، والإخاذة تروي الراكبين، والإخاذة لو نزل بها أهل الأرض لأصدرتهم، وإن عبد الله - يعني ابن مسعود - من تلك الإخاذ (٥). ومسروق أيضا قال: شامت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت

(١) صحيح البخاري - الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ٢٢ ح ٦٩٢٠، تذكرة الحفاظ ٦ / ١.

(٢) صحيح البخاري - الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ١٣ ح ٦٨٨٧، تذكرة الحفاظ ٨ - ٧ / ١.

(٣) المستدرک، وتلخيصه ١ / ٣٢٦.

(٤) الإخاذ: واحدها إخاذة، وهي الغدير.

(٥) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٤٣.

علمهم انتهى إلى ستة: علي، وعمر، وعبد الله، وزيد، وأبي الدرداء، وأبي.. ثم شامت الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله! (١). وأنهى غيره علم الصحابة إلى ستة أيضا، هم المتقدمون بأعيانهم إلا أبا الدرداء فقد أبدله بأبي موسى الأشعري، ثم أنهى علم الستة إلى علي وعمر (٢).

وخلاصة القول عند ابن خلدون: إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالاته، بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو ممن سمعه منهم وعن عليتهم، وكانوا يسمون لذلك: (القراء) لأن العرب كانوا أمة أمية (٣).

الفارقة الثانية: المنع من التحديث:

قال الذهبي: إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد

اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه! (٤).
فهنا أكثر من مشكلة ظاهرة، منها:

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٥١، سير أعلام النبلاء ١ / ٤٩٣ - ٤٩٤، تدريب الراوي ١٩٣ / ٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٥١.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٥٦٣ - الفصل السابع من الباب الرابع.

(٤) تذكرة الحفاظ ١ / ٢ - ٣.

أ - ما يعود إلى (عدالة الصحابي) فيعزز ما ذكرناه آنفا.
ب - ظهور الاختلاف بين الصحابة في نقل السنة، إلى القدر الذي دعا أبا بكر إلى منعهم من ذكر شيء من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لكن هناك من الاختلاف ما لا ضير فيه، كاختلاف اللفظ مع حفظ المعنى تاما، كحديث (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) ويروى (من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار) فهما شيء واحد وإن اختلف اللفظ، وليس في هذا محذور بلا خلاف، والحديث كله قد يكون عرضة لهذا، إذ الغالب أن الصحابي إنما يسمع الحديث من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة، فإذا

نقله من حفظه بعد زمن غير يسير، فهو عرضة لاختلاف اللفظ. وليس هذا مطردا في كل الأحوال، فرب لفظ إذا تبدل بآخر فقد بعض دلالاته، أو جاء اللفظ بدلالة زائدة لم تكن من الحديث! وهناك اختلافات أخرى خطيرة، مصدرها وهم الصحابي أو نسيانه، أو سماعه طرفا من الحديث فقط، ونحو ذلك، ولقد رد كثير من الصحابة اختلافات ظهرت من هذا النوع، فمن ذلك:

* حديث عمر وابن عمر: (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) فردته عائشة، فقالت: إنكم تحدثون عن النبي غير كاذبين، ولكن السمع يخطئ، والله ما حدث رسول الله أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه! حسبكم القرآن (ولا تزر وازرة وزر أخرى) إنما قال: (إنه ليعذب، بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه).

وقد استدركت عائشة كثيرا على أحاديث ابن عمر وأبي هريرة وأنس ابن مالك وغيرهم، جمعها الزركشي في كتاب أسماه (الإجابة لإيراد ما

استدر كته عائشة على الصحابة).

* ورد الزبير رجلا كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: أنت سمعت هذا من رسول الله؟! قال الرجل: نعم.

قال الزبير: هذا وأشباهه مما يمنعني أن أتحدث عن النبي! قد لعمري سمعت هذا من رسول الله، وأنا يومئذ حاضر، ولكن رسول الله ابتداء بهذا الحديث فحدثناه عن رجل من أهل الكتاب، فجئت أنت بعد انقضاء صدر الحديث، فظننت أنه حديث رسول الله! (١).

* ومن هذا الصنف ما ذكر في اختلاط أحاديث أبي هريرة عن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحاديثه عن كعب الأحبار! (٢).

* ومنه قول عمران بن حصين: (والله إن كنت لأرى أني لو شئت

لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين، ولكن بطأني عن ذلك أن رجلا من أصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت، وشهدوا كما شهدت، ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون! وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم، فأعلمك أنهم كانوا يغلطون - وفي رواية: يخطئون - لا أنهم كانوا يتعمدون) (٣).

هذه نبذة عن اختلاف الصحابة في الحديث، الذي سيكون سببا في اختلافات أكبر حين ينتقل إلى المواضيع المستفادة من الحديث، في العقيدة والفقه والتفسير، وغيرها من نواحي المعرفة، وهذه كلها سوف تكون بلا شك محاور نزاع الأجيال اللاحقة، وهذا ما رآه أبو بكر، فلجأ إلى

(١) محمود أبو رية / أضواء على السنة المحمدية: ١١٦ - ١١٧ عن ابن الجوزي.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٦٠٦، البداية والنهاية ٨ / ١١٧، إرشاد الساري ٢ / ٦٩٠.
(٣) ابن قتيبة / تأويل مختلف الحديث: ٤٩ - ٥٠.

قراره الأخير في المنع من الحديث والاكتفاء بالقرآن.
لكن هل كان المنع من رواية الحديث النبوي والرجوع إليه في الفتيا هو الحل الأمثل لهذه المشكلة؟!

هذا على فرض كونه من صلاحيات الخليفة، وأن الخليفة مخول أن يوقف السنة النبوية متى شاء، رواية وفتيا، وتدوينها أيضا كما سيأتي! أما إذا كان هذا كله فوق الخليفة وصلاحياته، فثمة ما ينبغي التوقف عنده طويلا إذن!

ج - والمشكلة الثالثة التي يثيرها حديث أبي بكر، هي: ما سيعقب قرار المنع من ضياع لبعض السنن، كثيرا كان أو قليلا! خصوصا حين يمضي الأمر هكذا لعدة سنين.
* في عهد عمر:

استمر هذا المنع من الحديث زمن عمر كله، ولم يقتصر حكمه على أبي هريرة وكعب الأحمري اللذين اتهمهما في الحديث، وتوعدهما بالطردهما إلى ديارهما الأولى إن هما لم يكفيا عن الحديث..

بل سرى إلى رجال من كبار الصحابة، منهم: عبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو مسعود الأنصاري، فقال لهم: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله! فحبسهم في المدينة (١).

وسرى أيضا إلى أمراءه، فقد كان يأخذ عليهم العهد باجتنب الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وربما بالغ في هذا فمشى مع عماله بعض الطريق

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٧.

يودعهم، ثم يذكر لهم أنه إنما خرج معهم لأجل هذه الوصية: (إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله، وأنا شريككم!) فلما قدم بعضهم العراق، قالوا له: حدثنا. قال: نهانا عمر (١). حتى توفي عمر على هذه السيرة سنة ٢٤ هـ. وهذه السيرة أيضا جاءت على خلاف الحديث الذي رواه أبو موسى الغافقي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (عليكم بكتاب الله، وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني - أو كلمة تشبهها - فمن حفظ شيئا فليحدث به، ومن قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار) وقال أبو موسى: هذا آخر ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! (٢). * وفي عهد عثمان:

خطب الناس، فقال: (لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر، فإنه لم يمنعني أن أحدث عن رسول الله أن لا أكون من أوعى أصحابه، إلا أنني سمعته يقول: من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار) (٣).

لكن عثمان لم يتبع شدة عمر وسيرته في هذا الأمر، فأطلق الصحابة الذين حبسهم عمر في المدينة، وقد ذكر فيهم مع ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي مسعود الأنصاري، ثلاثة آخرون، هم: صادق اللهجة أبو ذر،

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٧، المستدرک ١ ح ٣٤٧ وصححه الحاكم والذهبي.

(٢) المستدرک وتلخيصه ١ / ١٩٦ ح ٣٨٥.

(٣) منتخب كنز العمال ٤ / ١٧٢.

وعبد الله بن حذيفة، وعقبة بن عامر، فكل هؤلاء لم يلتزموا أمر عمر في ترك الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).
لنعرف من ذلك أن قرار المنع لم يكن إجماعاً، وإنما كان رأياً يراه الخليفة فيحمل الصحابة عليه، ثم لم يكن جميعهم ممن استجاب لهذا الأمر وتقيده به، فكان تمردهم هذا سبباً في حفظ الكثير من السنن التي قد يطالها النسيان حين تأتي عليها السنون وهي في طي الكتمان.
د - حديث المنع والنبوءة الصادقة:

* وآخر المشكلات، وربما أخطرها دلالة، أننا نجد في هذا النص المنقول عن أبي بكر، أول ظهور لتلك النبوءة الصادقة التي أخبر بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في تحذيره الخطير وقوله الشهير: (يوشك الرجل متكئاً

على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه! ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله) (٢).
أنظر ثانية في نص حديث أبي بكر: (... فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه)!

إنه ظهور مبكر جداً لتلك النبوءة، ولقد كان حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) ابن حبان / المجروحين ١ / ٣٥، المستدرک ١ / ١٩٣ ح ٣٧٤ و ٣٧٥، وفيه: أبو ذر وأبو الدرداء وأبو مسعود.

(٢) سنن ابن ماجه ١ ح ١٢ - والنص عنه - و ح ١٣ و ٢١، سنن الترمذي ٥ ح ٢٦٦٣ و ٢٦٦٤، سنن أبي داود ٣ ح ٣٠٥٠ و ٤ ح ٤٦٠٤ و ٤٦٠٥، مسند أحمد ٤ / ١٣٠ و ١٣٢ و ٦ / ٨، المستدرک ١ / ١٠٨ و ١٠٩.

يشعر بقرب ظهورها، إذ استهل الحديث بقوله: (يوشك) ولم يقل: (يأتي على الناس زمان) كما في إخباره عن الغيب البعيد (١).

الفارقة الثالثة: منع تدوين الحديث.

قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت خمسمئة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيرا، فلما أصبح قال: أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذاك! (٢). لكن هذه الحيلة وهذه الدقة ينبغي أن لا تتجاوز أحاديث سمعها من بعض الصحابة يحدثون بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما هو صريح في قوله:

(فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به، ولم يكن كما حدثني).

أما الأحاديث التي سمعها هو مباشرة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي في منجاة من ذلك، إلا أن يقال إنه لم يميز بين ما سمعه هو مباشرة، وما نقل له! وهذا غير وارد، وحتى لو حصل مع بعضها فلا يمكن حصوله مع جميعها حتى لم يعد يعرف حديثا واحدا سمعه من فم النبي صلى الله عليه وآله وسلم! فلماذا أوقع الإحراق على الجميع؟!

(١) في لسان العرب - وشك -: الوشيك: السريع.. أمر وشيك: سريع.. وأوشك: أسرع، ومنه قولهم: يوشك أن يكون كذا.
(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ٥.

لعل هذا الاضطراب هو الذي حمل الذهبي على تكذيب الخبر، فقال: فهذا لا يصح، والله أعلم (١). فإذا لم يصح هذا، فلم يثبت عن أبي بكر غيره في شأن تدوين الحديث النبوي الشريف، إلا ما ورد في كتابته بعض كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

والتي ضمنها جملة من السنن، ككتاب فرائض الصدقة - الزكاة - الذي كتبه أبو بكر إلى عماله، فجعل أوله: (إن هذه فرائض الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين، التي أمر الله عز وجل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن سئل من المسلمين على وجهها فليعطها...). الكتاب (٢).

فهذا يعني أن تدوين الحديث على أصل الإباحة، وهي مستفادة حتى من الحديث الأول على فرض صحته، فمبادرة أبي بكر بجمع الحديث وتدوينه في كتاب دليل على أنه لم يعرف فيه إلا الإباحة، ثم لما حرقه لم يكن حرقه لورود النهي عن كتابة الحديث، وإنما لخشية تطرق الوهم إليه! ومضى الأمر على هذه الحال حتى جاء عمر، فأراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها، ثم بدا

له أن لا يكتبها.. ثم بعث إلى الأمصار: من كان عنده شيء فليمحاه! (٣). وحدث مالك بن أنس: أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب هذه الأحاديث، أو كتبها، ثم قال: لا كتاب مع كتاب الله! (٤).

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٥.

(٢) مسند أحمد ١ / ١١، صحيح البخاري - كتاب الزكاة - زكاة الغنم، سنن أبي داود - كتاب الزكاة - ح ١٥٦٧ - ١٥٧٠، سنن النسائي ح ٢٢٣٥.

(٣) جامع بيان العلم ١ / ٧٨ ح ٣١٣ و ٣١٥.

(٤) جامع بيان العلم ١ / ٧٨ ح ٣١٢.

هذه أيضا أدلة كافية على عدم ورود شئ في النهي عن تدوين السنة، وإلا لما هم عمر بكتابتها، واستشار الصحابة فأجمعوا على كتابتها. فما كان المنع إذن إلا برأي رآه عمر، ولم ينسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وراح الصحابة من وراء الخليفة يكتبون الحديث والسنن، ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما حدثهم به إخوانهم عنه صلى الله عليه وآله وسلم، حتى كثرت عندهم

الكتب، فبلغ خبرها عمر، فقام فيهم خطيبا، فقال: (إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتابا إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي). فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بها، فأحرقها بالنار! (١).

كتابة السنة تصد عن القرآن!!

تلك هي أهم الحجج التي تمسك بها المانعون من تدوين السنة، ومن رواية الحديث أيضا، خشية أن يشغلهم ذلك عن القرآن، كما انشغل أهل الكتاب بكتب أحبارهم عن كتاب ربهم! (٢).

لكن هل يصح ذلك؟! وما السنة - بالدرجة الأولى - إلا تبياننا للقرآن وتفصيلا لأحكامه!!

نترك الجواب للصحابي الفقيه الذي بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة

(١) الطبقات الكبرى ٥ / ١٨٨، تقييد العلم: ٥٢.

(٢) أنظر: سنن الدارمي ١ ح ٤٧٥، تقييد العلم: ٥٣ و ٥٦، جامع بيان العلم: ٧٩ ح ٣١٨ و ٣١٩، أصول الحديث: ١٥٤ و ١٥٦ و ١٥٨، علوم الحديث ومصطلحه: ٣٠ - ٣١.

يفقه أهلها: عمران بن حصين (١)..

* كان عمران بن حصين جالسا ومعه أصحابه، فقال له رجل:
لا تحدثونا إلا بالقرآن.

فقال عمران: أدنه! فدنا منه (٢)، فقال له: أرأيت لو وكلت أنت
وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر
أربعاً، والمغرب ثلاثاً، تقرأ في اثنتين؟!
أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف
بالبیت سبعاً، والطواف بالصفاء والمروة؟!
ثم قال: أي قوم! خذوا عنا، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن! (٣).

* والتابعي أيوب السخيتاني كان يقول: (إذا حدثت الرجل بالسنة،
فقال: دعنا من هذا وحدثنا بالقرآن. فاعلم أنه ضال مضل!) (٤).

* وقال مكحول والأوزاعي: (الكتاب أحوج إلى السنة، من السنة
إلى الكتاب) (٥).

ولعل هذا من الواضحات التي ينبغي ألا ينازع فيها.
وبعد ذلك فإن السنة إنما تدعو إلى القرآن: تلاوته، والتدبر فيه،
وفهمه، والالتزام به باتباع أمره وإرشاده، وتحذر من تركه ومخالفته
ومجافاته.

-
- (١) أنظر ترجمته في أسد الغابة والإصابة.
- (٢) في رواية ابن عبد البر، قال له: إنك امرؤ أحمق...
- (٣) الكفاية في علم الرواية: ١٥، جامع بيان العلم: ٤٢٩ واختصرها.
- (٤) الكفاية في علم الرواية: ١٦.
- (٥) جامع بيان العلم: ٤٢٩.

فليست إذن بشاغلة عن القرآن، ولا لقارئ القرآن عنها غنى.
إذن ثمة فرق كبير بين موقع السنة من القرآن، وموقع كتب الأخبار
والرهبان من التوراة والأنجيل!

* ومما يثير الدهشة والاستفهام، أنه في الوقت الذي كان يشدد فيه
على المنع من رواية الحديث بحجة شغل القلوب بالقرآن وحده، كانت
تصدر في الوقت ذاته وصايا بتعلم الشعر والاهتمام به!
فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - عامله على
البصرة - : (أن مر من قبلك بتعلم العربية، فإنها تدل على صواب الكلام،
ومرهم برواية الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق) (١).
ترى والحديث النبوي، ألا يدل على صواب فهم القرآن، ومعرفة
الأحكام والسنن، ومعالي الأخلاق؟!
وأیما أشغل للناس عن القرآن ومعرفته: رواية الحديث، أم رواية
الشعر؟!

ألا يثير هذا استفهاما لا تحمل له كل أخبار المنع من التدوين وما قيل
في تبريرها جوابا؟!

أهو مجرد تناقض بين قولين؟! أم الأمر كما ذهب إليه السيد
الجلالي، حين رأى أن السبب الحقيقي لمنع رواية الحديث هو صد الناس
عن أحاديث تذكر بحقوق أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم، لما في تذاكرها
وتداولها من آثار غير خافية على الخليفة! (٢).

(١) كنز العمال ١٠ / ٣٠٠ ح ٢٩٥١٠.

(٢) محمد رضا الحسيني الجلاي / تدوين السنة الشريفة: ٤٠٩ - ٤٢١.

فلنقل إذن: إن (مصلحة أمن الدولة) هي التي اقتضت منع رواية أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وليس شيئاً آخر تعود فيه التهمة إلى الحديث النبوي

نفسه، كما في هذا العذر الذي رأى الحديث يصد عن القرآن!! أو تعود فيه التهم والطعون على القرآن الكريم نفسه! كما في العذر الآخر، الآتي:

اختلاط السنة بالقرآن:

هو ثاني أهم الحجج التي فسر بها المنع عن تدوين السنة (١). فإذا كان في الصحابة من يقع في مثل هذا الوهم، كالذي حصل في دعاء الخلع، ودعاء الحفد، وسنة الرجم، وعدد الرضعات، وغيرها (٢). فإن هذا كله قد حسمه جمع القرآن في المصحف المرتب، وقد حصل هذا مبكراً جداً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يبق بعد ذلك أدنى

قيمة لوهم يحصل من هذا النوع، فهذه الأوهام المنقولة في الصحاح والسنن عن بعض الصحابة، لم تؤثر شيئاً، ولا زادت في القرآن ولا نقصت منه.

أما إذا حصل الوهم والخلط بعد جيل الصحابة، فهو أولى أن يهمل ولا يعتنى به.

إن التمسك بمثل هذه الشبهة يوقع أصحابه بأكثر من تناقض:

(١) أنظر: تقييد العلم: ٥٦، أصول الحديث: ١٥٩.

(٢) أنظر: الإتيان في علوم القرآن ١ / ١٨٤ - ١٨٥، صحيح البخاري / كتاب المحاربين - باب رجم الحبلى من الزنى ح ٦٤٤٢.

* فمرة يناقضون ما سلموا به من انتهاء جمع القرآن في مصحف على أتم صورة، وعلى شرط التواتر..!

* ومرة يناقضون ما سلموا به من إعجاز القرآن، وأن الحديث النبوي ليس معجزاً، بل ولا الحديث القدسي معجزاً!

* ومرة يناقضون ما احتجوا به لسلامة القرآن من أدنى تغيير أو تحريف، من قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فكيف يخشون اختلاط الحديث بالقرآن؟! وقد نزلت هذه الآية قبل هذا العهد تقول لهم: اكتبوا أحاديث نبيكم، وكتبوا العلم ولا تخشوا اختلاط ذلك بالقرآن، لأننا (نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

ومهما كان فلا تنجو هذه الحجة من أن تمس سلامة القرآن الكريم، وهذا ما لا يريده أصحابها بحال، ولكن أوقعهم به من حيث لا يشعرون دفاعهم عن هذه السيرة وما رأوه من لزوم تبريرها، والحق أنه ليس شئ من ذلك بلازم، فما كل رأي يتخذه صحابي يلزمنا تبريره والدفاع عنه، ولا كل قرار يتخذه الخليفة كذلك!

خلاصة ونتائج:

من هذه القراءة السريعة لتاريخ السنة في ربع قرن تحصل أن السنة في هذا العهد كانت تواجه معركة حقيقة متصلة الحلقات:

* فالرجوع إليها في الفتيا قد صدر فيه المنع مبكراً.

* والتحدث بها ونشرها لمن لم يسمعها صدر فيه أكثر من قرار بالمنع.

* ومن عني بالحديث ونشره صدر بحقه قرار الحبس في المدينة مع الإنذار والتهديد.

* وما كتب منها تعرض للحرق والإتلاف، دون تمييز بين الأحكام والفرائض، وبين الآداب والمفاهيم والعقائد، فكان الحرق والإتلاف يقعان على الكتاب بمجرد العثور عليه، دون أدنى نظر فيه، كما مر عن عمر في ما جمعه من كتب الحديث التي كتبها بعض الصحابة.

وروي شئ من ذلك عن عبد الله بن مسعود، في حديث عبد الرحمن الأسود عن أبيه، قال: جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت، بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاستأذنا على عبد الله فدخلنا عليه فدفعنا إليه الصحيفة، فدعا الجارية ثم دعا بطست فيه ماء، فقلنا له: يا أبا عبد الرحمن، انظر، فإن فيها أحاديث حسانا.. فجعل يميثها فيها ويقول: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بما سواه!! (١). لكن قد ثبت عن ابن مسعود أيضا خلاف ذلك، إذ أخرج ابنه عبد الرحمن كتابا وحلف أنه خط أبيه بيده (٢).

فهذان موقفان متناقضان لابن مسعود من التدوين، على فرض صحة الروايتين معا، ويمكن تفسير هذا التناقض بوجوه، منها: أ - أنه قد عدل عن رأيه، فأجاز الكتابة، وكتب بنفسه بعد أن كان يمنع منها.

(١) تقييد العلم: ٥٤، وانظر: أصول الحديث ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) جامع بيان العلم: ٨٧ ح ٣٦٣.

ب - أن يكون قد كتب لنفسه خاصة لأجل أن يحفظ فلا ينسى، كما كان يفعل بعضهم إذ يكتب ليحفظ ثم يمحو ما كتب.
ج - أن يكون واثقا بحفظه وصحة ما يكتبه، شاكا بضبط غيره إلى حد جعله كالمتيقن من تسرب الوهم والغلط إليهم، لشدة اعتداده بضبطه، كما هو شأنه المعروف في القرآن الكريم إذ كان قد غضب غضبا شديدا على عثمان حين أسند مهمة جمع المصحف إلى زيد بن ثابت ولم يسندها إليه، فكان يقول: لقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة وزيد

له ذؤابة يلعب مع الغلمان! (١).

د - أن يكون موقفه من تلك الصحيفة التي أماتها عائدا إلى موضوعها، فهي صحيفة جمعت أحاديث في موضوع واحد، وهو موضوع منازل وفضائل أهل البيت عليهم السلام، فأماثلها لأجل اختصاصها بهذا الموضوع، وليس لكونها صحيفة جمعت شيئا من الحديث النبوي. ولعل هذا هو أضعف الوجوه، خصوصا حين ينسب إلى عبد الله بن مسعود الذي ورد عنه حديث كثير في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وقد أثبت في مصحفه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أن عليا مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (٢).

ه - أن يكون معتقدا جواز التدوين فكتب بناء على اعتقاده هذا، وهو في الوقت ذاته متحفظ من نشر كتب الحديث لعله كان يراها، وقد كشف هنا عنها بقوله: (القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بما

(١) مسند أحمد ١ / ٣٨٩ و ٤٠٥ و ٤١٤، سير أعلام النبلاء ١ / ٤٧٢.

(٢) الشوكاني / فتح القدير ٢ / ٦٠.

سواه). ولأجل ذلك أؤلف الكتاب الذي رآه. وهذا هو الراجح في تفسير موقفه، يدل عليه نفس حديث ولده عبد الرحمن، فهو حين أخرج لهم الكتاب كان يحلف لهم أنه بخط أبيه، فهذا كاشف عن أن الظاهر من حال أبيه والمعروف عنه هو المنع من تدوين الحديث، وهذا هو الذي ألجأه إلى القسم.

ومع أي واحد من هذه الوجوه الخمسة فإن الثابت في قناعة ابن مسعود هو أن الأصل في السنة جواز التدوين، وأن المنع منه كان لرأي رآه وليس هو بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا بعينه هو المستفاد من موقف أبي بكر وعمر.

* ولو رضينا بكل ما قيل في تبرير هذه السياسة والاعتذار عنها، فهل ستجيب تلك التبريرات على بضعة أسئلة تطرحها هذه الحالة؟! ومن هذه الأسئلة:

١ - لماذا السنة؟ هل ترك النبي سنته للحرق والإتلاف؟! أم تركها نورا وتبيانا وهدى ودستورا؟!

٢ - منزلة السنة: هل يحق للصحابة مجتمعين تطويق السنة النبوية ومحاصرتها بهذه الطريقة أو بما هو أدنى منها؟!

٣ - الأمانة على السنة: هل وجد الصحابة الذين واجهوا السنة بهذه الطريقة، أو الذين تحفظوا عن روايتها خشية الوهم، هل وجدوا أنفسهم مستأمنين على السنة النبوية وحفظها وصيانتها ونشرها وتعليمها لمن لم يعلم، وتبليغها لمن لم يبلغه منها إلا القليل في عصرهم، ولمن لم

يبلغه منها شئ من الأجيال اللاحقة؟!

٤ - السنة لمن؟: هل الأجيال اللاحقة ملزمة بهذه السنة النبوية بكاملها؟! أم كانت السنة خاصة بجيل الصحابة ليحتفظوا بها لأنفسهم عن طريق التورع عن الحديث! أو سدا لباب الاختلاف في الرواية! أو خشية الانشغال عن القرآن! أو خشية الهلاك كما هلك أهل الكتاب؟! المبحث الثاني: الموقع التشريعي.

والمبحث هنا لا بد أن يقع في قسمين، يتناول الأول مدى تتبع السنة لأجل العمل بها والالتزام بحدودها وضوابطها، ويتناول الثاني ما كان على خلاف ذلك، ليس على مستوى التجميد والتعطيل إذ هما داخلان في الأول، بل على مستوى الخرق والاستبدال بأحكام جديدة في ذات المسائل التي أجابت عنها السنة عملا وقولا، مما يمكن إدراجه تحت عنوان (الاجتهاد في قبال النص).

القسم الأول:

له شواهد كثيرة إيجابا وسلبا، وقد تقدم في المبحث الأول الشئ الكافي منها، إذ هناك بلا شك تطبيق لكثير من السنن، والتزام بها، ورجوع إليها، وتتبع لها، فكثيرا ما تعرض المسألة على الخلفاء فيستدعون نفرا من علماء الصحابة يسألونهم إن كانوا قد سمعوا فيها شيئا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فيقضون به. وقد حفظت كتب السنن من أمثلة هذا الشئ الكثير، وربما كان ما أهملته أكثر، لأنه إنما يجري وفق العادة المتوخاة والمجرى الطبيعي

لنظم الحياة وفق المنهج الديني، ومن طبيعة التاريخ أنه لا يعنى كثيرا بالأمر المؤلف والمعتاد وما يجري وفق السير الطبيعي للحياة. وفي الجانب السلبي من هذا القسم تقدمت أيضا شواهد مهمة، كان أبرزها قرار أبي بكر بمنع الفتيا بالسنة والاكتفاء بالقرآن، وقرار عمر بمنع رواية السنة وحبس الرواة لها. من هنا رأينا أن الحديث في هذا القسم قد استوفي ضمنا في المبحث الأول، لنبسط القول بالقدر المناسب في القسم الثاني. القسم الثاني: الاجتهاد في قبال النص. وهذا أول أنواع الرأي الباطل، كما أحصاها ابن القيم (١)، وقال: وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فسادَه وبطلانه، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد. غير أن هذا النوع من الرأي قد ظهر في هذا العهد أيضا، ظهر تحت عنوان النظر إلى المصلحة كما يقدرها صاحب الرأي! أي أن المجتهد هنا يرى أن المصلحة - مصلحة الدولة والأمة - هي الأصل، وأن نصوص الكتاب والسنة ما جاءت إلا لرعاية مصالح العباد، فعندما يرى أن النص القرآني أو الحديثي يضر بالمصلحة، وأن المصلحة بتعطيله واستبداله بما يوافقها، عندئذ يفتي بما يراه بديلا عن النص! والمشكلة هنا تقع مرة في تشخيص المصلحة، ومرة في تقدير مدى موافقة أو مناقضة الحكم لها.

(١) أعلام الموقعين ١ / ٦٧.

ولقد كان هذا ظاهرا في فقه عمر أكثر ما يكون، وربما ظهر منه ذلك حتى بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم! كالذي كان يوم الخميس، قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي يقول: (إيتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي) فيصيح عمر بالحاضرين: (ما له؟! أهجر؟! حسبنا كتاب الله!!) وما زال يمنع منها حتى كثر التنازع فغضب النبي وأخرجهم من عنده. فعل هذا عمر حين قدر ما كان النبي يضمه، وقدر أن ذلك سوف لا يحقق المصلحة، وأن المصلحة في خلافه! هذا ما قاله هو في تفسير موقفه (١).

إذن رأى لنفسه الحق في الوقوف أمام النبي وأمره! حين رأى أنه كان أقدر من النبي على تشخيص المصلحة وإصدار الأحكام المناسبة! ولو جاز ذلك التصور، في منطق ما، وكان الذي قدره عمر هو الأوفق بالمصلحة، لكانت تلك هي المصلحة العاجلة الظاهرة له، دون المصلحة الحقيقية التي كره عمر بواكيرها. وماذا لو كره نفر من قريش ما أراده النبي اليوم لحفظ الدين وصونه؟!!

ألم يكن ذلك نفر قد كره دعوة النبي في أيامها الأولى، ثم صار بعد يقاتل دونها؟! ألم يكن منهم من كره النبي ودعوته وأفنى خيله ورجله في محاربتها حتى أسقط في يديه يوم دخلت عليه جيوش النبي مكة؟!!

(١) شرح نهج البلاغة ١٢ / ٢١ وقال: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور) صاحب كتاب (تاريخ بغداد) في كتابه، مسندا.

فهل كانت المصلحة في ما يحبون؟! أم كان الخير كله في ما يكرهون؟!

ولئن كان الذي رآه عمر مصلحة عاجلة، هو حقا كما رآه، فلسريعا ما كان مفتاحا لمفسدة وأي مفسدة!
إنه الباب الذي كان مهيتا لكل ذي ضغينة على هذه الرسالة وصاحبها أن يقتحموه إلى حيث يطمحون، ألم يكن هو الباب إلى (الرزية، كل الرزية)؟!

هذا ما قاله حبر الأمة ابن عباس (١)، وهو الذي نقشته الأحداث على جبين التاريخ الإسلامي، أحب ذلك أحد أم كره!

* ولقد أخذ عمر على نفسه مرة رده على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحسب تقديره للمصلحة، وذلك في قصة الحكم بن كيسان، إذ جئ به أسيرا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الإسلام، فأطال، فقال عمر:

علام تكلم هذا يا رسول الله؟! والله لا يسلم هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه ويقدم على أمه الهاوية!

فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل على عمر، حتى أسلم الحكم! قال عمر: فما هو إلا أن رأيته أسلم حتى أخذني ما تقدم وما تأخر، وقلت: كيف أرد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرا هو أعلم به مني، ثم أقول إنما

أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله؟!

قال عمر: فأسلم والله، فحسن إسلامه، وجاهد في الله حتى قتل

(١) صحيح البخاري / كتاب المرضى - باب ١٧ ح ٥٣٤٥، صحيح مسلم ٣ ح ١٦٣٧، مسند أحمد ١ / ٢٢٢.

شهيدا يبئر معونة ورسول الله راض عنه، ودخل الجنان! (١).
هذا ما قاله عمر بإخلاص عن نفسه: (كيف أرد على النبي أمرا هو أعلم به مني، ثم أقول إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله؟!).
فكيف يحق لمن جاء بعده أن يتمسك بهذه المقولة ذاتها التي أنكرها عمر على نفسه، كلما وقف على مسألة لعمر رد فيها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو

رد فيها نصا من نصوص القرآن الكريم؟!

* وأخرى:

الله تعالى في كتابه الكريم قد عنف عمر، وأبا بكر معه، لتقديمهما الرأي بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذن منه، وبحسب تقديرهما للمصلحة!

عنفهما بآيات شداد:

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم).

(يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو في دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله)، (نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه) (٢).

قال تعالى في الآية اللاحقة: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (٣).. وقصتها أنه قدم وفد تميم،

(١) الطبقات الكبرى ٤ / ١٣٧ ترجمة الحكم بن كيسان.

(٢) تفسير الطبري ١٣ / ١١٦.

(٣) الآيتان من سورة الحجرات ٤٩: ١ و ٢.

منهم الأقرع بن حابس، فكلّم أبو بكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستعمله على قومه،

فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله! فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت الآيات (١).
قال ابن أبي مليكة: كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر! رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. القصة (٢).
وهذا الذي يخشى أن تكون عاقبته حبط الأعمال، إنما هو التقديم بالرأي بغير إذن منه، ورفع الصوت فوق صوته، فكيف مع رد أمره وتعطيل شئ من سننه؟!
أيقن مع كل هذا أن يقال إنهما أرادا المصلحة والنصيحة لله ولرسوله؟!

هذا قول مختلف عن قول الله عز وجل: (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) و (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي).. (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون).
فكما لا يصح هذا الاعتذار لما وقع في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأيام صحته

ونشاطه، فلا يصح شئ منه أيضا مع ما وقع أيام مرضه وبعد وفاته! وبعد وفاته، وفي ربع قرن، ظهر شئ كثير من هذا النوع من الاجتهاد، اجتهاد مع وجود النص، ومن أشهره:

-
- (١) أنظر: تفسير الطبري ١٣ / ١١٩، سنن الترمذي ٥ ح ٣٢٦٦، سنن النسائي / كتاب القضاة - باب ٨ ح ٥٩٣٦، أسباب النزول - للواحدي -: ٢١٥ لباب النقول - للسيوطي -: ١٩٤، الدر المنثور ٧ / ٥٤٦ و ٥٤٧.
(٢) صحيح البخاري / كتاب التفسير - تفسير سورة الحجرات - باب ٣٢٩ ح ٤٥٦٤.

١ - المنع من رواية الحديث:
وقد حث عليها النبي كثيرا، وأوصى بها، وأمر بها:
(نضر الله امرءا سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (١).
(الناس لكم تبع، وسيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يتفقهون، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا، وعلموهم مما علمكم الله) (٢).
(يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه!! ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله) (٣).

٢ - المنع من تدوين الحديث:
وقد أباحه النبي لأصحابه:
حين كان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب حديث النبي، فقالت له قریش: أتكتب عن رسول الله كل ما تسمع؟! وإنما هو بشر! يغضب

(١) سنن ابن ماجه ١ ح ٢٣٠ - ٢٣٦، سنن الترمذي ٥ ح ٢٦٥٧ و ٢٦٥٨، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح ١٧٢١، وقد أحصى له بسيوني زغلول في موسوعة أطراف الحديث ٤٧ طريقا.
(٢) أنظر: كنز العمال ١٠ ح ٢٩٥٣٣ - ٢٩٥٣٥.
(٣) سنن ابن ماجه ١ ح ١٢ و ١٣ و ٢١، وقد تقدم مع مزيد من التوثيق ص ١٣٨.

كما يغضب البشر!! فذكر ذلك للنبي، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم وهو يشير إلى شفتيه

الشريفتين: (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق) (١).
وشكا إليه صحابي كان يسمع الحديث فلا يحفظه، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم:
(استعن بيمينك) وأشار بيده إلى الخط (٢).

وكما في كتبه الكثيرة في المدينة وإلى عماله، وهي مشحونة بالسنن.
* ولقد أمر بكتابة الحديث أيضا، فقال: (قيدوا العلم بالكتاب) (٣).

وقال: (اكتبوا لأبي شاة) وقد طلب أبو شاة أن يكتب له
خطبته صلى الله عليه وآله وسلم بمنى (٤).

وقال: (إيتوني بكتاب، أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده) (٥).
وكثير غير هذا، وقد تقدم بحثه آنفا، فهل يصح أن يقال إن المنع من
رواية الحديث وتدوينه إنما كان لمصلحة الدين والأمة؟!

٣ - سهم ذوي القربى من الخمس:

وقد نزل به القرآن، وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبني هاشم وبني المطلب،
فمنعه أبو بكر وعمر! ونقلاه عن موضعه إلى موضع آخر في بيت المال
باجتهاد رأياه، وربما منح عثمان بعضه لبعض قريبه من بني أمية، مع أن
عثمان هو الذي كان قد سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لم لم يعطهم - أي بني
أمية -

-
- (١) مسند أحمد ٢ / ٢٠٧، وصححه الحاكم والذهبي / المستدرک ١ / ١٠٤ - ١٠٥.
(٢) سنن الترمذي ٥ ح ٢٦٦٦، تقييد العلم: ٦٦ - ٦٨.
(٣) المستدرک ١ / ١٠٦، تقييد العلم: ٦٩ و ٧٠، المحدث الفاضل: ٣٦٥ ح ٣١٨.
(٤) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب ٣٩ ح ١١٢، سنن الترمذي ٥ ح ٢٦٦٧.
(٥) هذا نص البخاري في كتاب العلم ح ١١٤.

شيئاً مع قرابتهم، فيما أعطى بني المطلب مع بني هاشم؟! فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد) (١). ثم استقر رأي أبي بكر وعمر عند فقهاء المذاهب: أبي حنيفة ومالك وأحمد، وخالفهم الشافعي والطبري فأثبتا حق قرى الرسول فيه (٢).
٤ - سهم المؤلفة قلوبهم:

نزل به القرآن، وعمل به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمنع منه عمر في مطلع خلافة أبي بكر، فوافقه أبو بكر! فترك هذا الباب لا ينظر إليه! وأغرب ما في هذا الباب دعوى الإجماع، لسكوت الصحابة وعدم مخالفة أحدهم! ناسين أن هذا الأمر لم يرفع إلى الصحابة لينظر ما يقولون، ولا خرج مخرجاً يوحى بوجود مطمع في تعديله أو مناقشته، وإنما صدر أمراً سلطانياً لا ترديد فيه: جاء نفر من مؤلفة المسلمين إلى أبي بكر يطلبون سهمهم، فكتب لهم به، فذهبوا إلى عمر ليعطيهم وأروه كتاب أبي بكر، فأبى ومزق الكتاب، فرجعوا إلى أبي بكر، فقالوا: أنت الخليفة أم عمر؟! فقال: بل هو، إن شاء!!
فأي محل الآن لمراجعة صحابي ومعارضته؟! وكيف يسمى مثل هذا إجماعاً؟! (٣).

(١) صحيح البخاري / ٣ كتاب الخمس - باب ١٧ ح ٢٩٧١، سنن النسائي / ٣ كتاب الخمس ح ٤٤٣٨ و ٤٤٣٩.
(٢) أنظر: د. أحمد الحصري / السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي: ١٩٥ - ٢٠٣.
(٢) أنظر: تفسير المنار ١٠ / ٤٩٦.

أما دعوى أن عثمان وعلياً لم يعطيا أحداً من هذا الصنف، فقد أجيب عنها، بأنها (لا تدل على ما ذهبوا إليه من سقوط سهم المؤلفة قلوبهم، فقد يكون ذلك لعدم وجود الحاجة إلى أحد يتألفوه آنذاك، وهذا لا ينافي بثبوته لمن احتاج إليه من الأئمة، على أن العمدية في الاستدلال هو الكتاب والسنة، فهما المرجع الذي لا يجوز العدول عنه بحال) (١).

وفسر بعضهم رأي عمر بأنه اجتهد منه، إذ رأى أنه ليس من المصلحة إعطاء هؤلاء بعد أن ثبت الإسلام في أقوامهم، وأنه لا ضرر يخشى من ارتدادهم عن الإسلام.

وعلى هذا فلا يعد سهم المؤلفة قلوبهم ساقطاً ليقال بمعارضة الكتاب والسنة، وإنما توقف العمل به لانتفاء موضوعه، وإذا ما وجدت الحاجة إليه عاد للظهور في أي زمان ومكان.

وبهذا قال بعض فقهاء الجمهور (٢)، وهو جيد حين يكون تقدير الموضوع دقيقاً وحكيماً، فيكون حكمه حكم سهم (الرقاب) المخصص لتحرير الرقيق، حين يمر على المسلمين عهد ليس فيهم رقيق يطلب عتقهم، فسوف يتوقف العمل بهذا السهم ولكن من غير أن يكون ذلك ناسخاً للحكم.

لكن السؤال ما زال قائماً: هل كانت علة هذا الحكم هي ضعف الإسلام وحاجته إلى قوة هؤلاء، لا غير، لينتفي عند انتفاء علة؟! قال بعض فقهاء الجمهور: إن المقصود من دفعها إليهم ترغيبهم في

(١) سيد سابق / فقه السنة ١ / ٣٤٣.

(٢) الدكتور وهبة الزحيلي / الفقه الإسلامي وأدلته ٢ / ٨٧٢، محمد رشيد رضا / المنار ١٠ / ٤٩٦ و ٤٩٧.

الإسلام لأجل إنقاذ مهجهم من النار، لا لإعانتهم لنا حتى يسقط بفشو الإسلام (١).

وقال محمد رشيد رضا: (إننا نجد دول الاستعمار الطامعة في استعباد جميع المسلمين وفي ردهم عن دينهم، يخصصون من أموال دولهم سهما للمؤلفة قلوبهم من المسلمين، فمنهم من يؤلفونه لأجل تنصيره وإخراجه من حضيرة الإسلام، ومنهم من يؤلفونه لأجل الدخول في حمايتهم ومشاقة الدول الإسلامية والوحدة الإسلامية، ككثير من أمراء جزيرة العرب وسلاطينها!! (٢) أفليس المسلمون أولى بهذا منهم؟! (٣). فليس الأمر إذن منوط بعلة واحدة استطاع عمر استنباطها بدقة، فوقف الحكم عليها.

ولقد قسم فقهاء الإسلام المؤلفة قلوبهم إلى أصناف عديدة، لا يكاد يخلو زمان من بعضها، ولا تشترك صفاتهم بالصفة التي اعتمدها عمر في اجتهاده، بل لكل صنف صفته الخاصة، ولقد كان تصنيفهم قائما أساسا على اختلاف صفاتهم، حتى جعلوهم ستة أصناف على هذا الأساس (٤). وأخيرا، حتى عند الرضا بما قيل في تصحيح اجتهاد عمر، فإن مثله لا يصلح جوابا عن اجتهاده وأبي بكر السابق في إسقاط سهم ذوي القربى من الخمس وصرفه إلى أي جهة أخرى، فإن الله تعالى الذي أنزل هذا

(١) راجع: الدكتور وهبة الزحيلي / الفقه الإسلامي وأدلته ٢ / ٨٧٢.

(٢) علامتا التعجب منه.

(٣) المنار ١٠ / ٤٩٥.

(٤) أنظر الأصناف الستة في: تفسير المنار ١٠ / ٤٩٤ - ٤٩٥، الفقه الإسلامي وأدلته

٢ / ٨٧١ - ٨٧٢.

النص أنزله على علم بمصالح عبادته، وحكمة في وضع الأشياء في مواضعها، علم وحكمة غنيان عن استدراكات البشر، سواء كانوا حكاما أو لم يكونوا، بل كل استدراك من هذا القبيل فهو رد على الله تعالى، وليس تقديمًا بين يديه وحسب!!

٥ - متعة النساء ومتعة الحج:

قال عمر بن الخطاب في خطبة له: (متعان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة

الحج) (١).

أما متعة النساء: فقد نزل بها القرآن: (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن) (٢).

وأخرج الطبري أن في قراءة أبي بن كعب وابن عباس: (فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسمى - فاتوهن أجورهن) (٣). وأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها، قال عبد الله بن مسعود: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس لنا نساء، فقلنا، ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم

رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل. ثم قرأ عبد الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن

(١) البيهقي / السنن الكبرى ٧ / ٢٠٦، الجصاص / أحكام القرآن ١ / ٣٤٢ و ٣٤٥، ابن القيم / زاد المعاد ١ / ٤٤٤، ٢ / ٢٠٥، الرازي / التفسير (مفاتيح الغيب) ١٠ / ٥٠، القرطبي / التفسير (الجامع لأحكام القرآن) ٢ / ٢٦١.

(٢) سورة النساء ٤: ٢٤.

(٣) تفسير الطبري ٥ / ١٢ - ١٣.

الله لا يحب المعتدين) (١).
 وجاء عنه من وجه آخر أنه قال: (كنا ونحن شباب، فقلنا:
 يا رسول الله، ألا نستخصي؟...) الحديث، ولم يقل: كنا نغزو! (٢).
 وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: (استمتعنا على عهد رسول الله
 وأبي بكر وعمر) (٣).
 وقال: (كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق، الأيام، على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو ابن
 حريث) (٤).
 وذكر البيهقي: أن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة فحملت منه، فخرج
 عمر يجر رداءه فرعاً، فقال: هذه المتعة! ولو كنت تقدمت فيها
 لرجمت! (٥).
 فهذه الأخبار الصحيحة كلها هي الموافقة لقول عمر: (متعتان كانتا
 على عهد رسول الله، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما) وشاهدة على أن ما
 ورد في تحريمها مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصح عنه.
 وأما متعة الحج: فهي الأخرى نزل بها القرآن: (فمن تمتع بالعمرة
 إلى الحج فما استيسر من الهدى) (٦) وأمر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في
 حجته
 الوحيدة بالمسلمين، المعروفة بحجة الوداع (٧).

-
- (١) صحيح مسلم / ٣ - كتاب النكاح - باب ٣ ح ١١.
 (٢) صحيح مسلم / ٣ - كتاب النكاح - باب ٣ ح ١٢.
 (٣) صحيح مسلم / ٣ - كتاب النكاح - باب ٣ ح ١٥ و ١٦، ونحوهما ح ١٧.
 (٤) صحيح مسلم / ٣ - كتاب النكاح - باب ٣ ح ١٥ و ١٦، ونحوهما ح ١٧.
 (٥) السنن الكبرى ٧ / ٢٠٦.
 (٦) سورة البقرة ٢: ١٩٦.
 (٧) أنظر: صحيح البخاري / ٢ - كتاب الحج - باب ٣٣ ح ١٤٨٦ - ١٤٩٤، وباب ٣٥ ح ١٤٩٦.

* قيل لعبد الله بن عمر في متعة الحج: كيف تخالف أباك وقد نهى عن ذلك؟! فقال: ويلكم! ألا تتقون الله؟! إن كان عمر نهى عن ذلك فيبتغي فيه الخير؟! فلم تحرمون ذلك وقد أحله الله وعمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

أفرسول الله أحق أن تتبعوا سنته، أم سنة عمر؟! (١).
* قال عروة بن الزبير لابن عباس: ألا تتقي الله! ترخص في المتعة؟!

قال ابن عباس: سل أمك يا عرية! فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلم يفعلوا.
قال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحدثون عن أبي بكر وعمر!! أو قال: أراهم سيهلكون،

أقول: قال رسول الله، ويقولون: قال أبو بكر وعمر!! (٢).
وقد أخرج مسلم نحو هذا النزاع بين ابن عباس وابن الزبير، فيدعو ابن عباس الحضور أن يسألوا أم ابن الزبير، فيسألونها فتصدق قوله.. ثم ذكر للحديث وجهين آخرين، في أحدهما ذكر (المتعة) ولم يقل متعة الحج، وفي الآخر يقول راويه: لا أدري متعة الحج أو متعة النساء؟ (٣).

(١) مسند أحمد ٢ / ٩٥، سنن الترمذي ٣ ح ٨٢٤، البداية والنهاية ٥ / ٥٩، تفسير القرطبي ٢ / ٢٥٨، جامع بيان العلم: ٤٣٥ ح ٢١٠٠ و ٢١٠١.
(٢) مسند أحمد ١ / ٣٣٧، جامع بيان العلم: ح ٢٠٩٥ و ٢٠٩٧ و ٢٠٩٩، رفع الملام - لابن تيمية -: ٢٧ - ٢٨.
(٣) صحيح مسلم / ٣ - كتاب الحج - باب ٣٠ في متعة الحج ح ١٩٤ - ١٩٥ (١٢٣٨).

* وجمع الأمر كله عمران بن حصين فقال: نزلت آية المتعة في كتاب الله - يعني متعة الحج - وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء! (١).

وعلى قرار المنع منها - خلافا للكتاب والسنة - سار عثمان أيضا (٢)، وتابعه معاوية في أيامه (٣)، حتى ظن الناس - وفيهم صحابة - أنها السنة! كالضحاك بن قيس، وهو صاحب معاوية ويزيد ثم صاحب ابن الزبير بعدهما (٤)، فقد ذكر متعة الحج فقال: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله! فقال له سعد بن أبي وقاص: بئس ما قلت يا ابن أخي! قال: فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك! قال سعد: قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصنعناها معه (٥). هكذا تصبح السنن في نظر هؤلاء حين يعترئها التغيير، وتتوالى عليها العهود!

* أما أصل هذا الموقف من متعة الحج فهو أقدم من عهد عمر، وإن له سرا خطيرا وقد كشف عنه البخاري ومسلم عن ابن عباس، قال: كانوا

(١) صحيح البخاري / ٢ - كتاب الحج - باب ٣٥ ح ١٤٩٦، تفسير القرطبي ٢ / ٢٥٨ والنص منه.

(٢) صحيح البخاري / ٢ ح ١٤٨٨ و ١٤٩٤.

(٣) سنن الترمذي ٣ ح ٨٢٢.

(٤) أنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٤٢ و ٢٤٣.

(٥) سنن الترمذي ٣ ح ٨٢٣، تفسير القرطبي ٢ / ٢٥٨.

يرون - أي في الجاهلية - أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض. ويجعلون المحرم صفرا (١)، ويقولون: إذا برأ الدبر، وعفا الأثر (٢)، وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر.

فقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج، فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاضم ذلك عندهم! فقالوا: يا رسول الله! أي الحل؟! قال: (الحل كله) (٣).

وفي حديث البراء، قالوا: كيف نجعلها عمرة (٤) وقد أحرمتنا بالحج؟! فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلم: (انظروا الذي أمركم به فافعلوه) فردوا عليه

القول، فغضب، ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان، فرأت الغضب في وجهه، فقالت: من أغضبك؟! أغضبه الله!

قال: (وما لي لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا أتبع؟! (٥)).

فهل يصح أن يقال: كان هذا الخلاف والرد على الرسول اجتهدا، ولأجل المصلحة التي رآها هؤلاء الصحابة؟!

(١) وهذا هو النسئ الذي كانوا يفعلونه، يؤخرون المحرم ويقدمون مكانه صفرا ليحلونه.

(٦) يريدون: إذا شفيت ظهور الإبل من (الدبر) الذي يصيبها من أثر الحمل ومشقة السفر، وذلك بعد الانصراف من الحج، وعندئذ يكون أثر سيرها قد ذهب وامحى من الطرق لطول المدة.

(٣) صحيح البخاري / ٢ - كتاب الحج - باب ٣٣ ح ١٤٨٩، صحيح مسلم / ٣ - كتاب الحج - باب ٣١ ح ١٩٨ (١٢٤٠).

(٤) وفي لفظ البخاري عن جابر (متعة) بدل (عمرة). صحيح البخاري ح ١٤٩٣.

(٥) مسند أحمد ٤ / ٢٨٦، سنن ابن ماجه ح ٢٩٨٢، سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٩٨ وقال الذهبي: هذا حديث صحيح من العوالي.

٦ - صلاة المسافر:

صلى عثمان وعائشة في السفر تماما، ولم يقصرا، فيما كان القرآن والسنة بالقصر.

أتمها عثمان بمنى، وفعلها معه طوائف، وكان ابن عمر إذا صلى معه أربع ركعات، انصرف إلى منزله فأعادها ركعتين! وسئل عروة بن الزبير: لم كانت عائشة تتم في السفر وقد علمت أن الله تعالى فرضها ركعتين؟!

فقال: تأولت من ذلك ما تأول عثمان من إتمام الصلاة بمنى! واعتل عثمان بمنى فأتى علي، فقليل له: صل بالناس. فقال: إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. يعني ركعتين. قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين! يعنون عثمان، فأبى (١). فيما كان ابن عمر يقول: (صلاة السفر ركعتان، من ترك السنة فقد كفر) رفعه مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروي مرة موقوفا عليه (٢). ٧ - وفي الطلاق:

الذي نزل به القرآن: (الطلاق مرتان) بينهما رجعة، فإن تراجع بعد الطلاق الثاني ثم طلقها ثالثا (فلا تحل له حتى تنكح زوجا

(١) أنظر ذلك كله في المحلى ٤ / ٢٦٩ - ٢٧٠. وفي المطبوع بعد كلمة (أبى) زادوا (عثمان) وليست من الأصل! انظر هامش الصفحة المذكورة من (المحلى).
(٢) المحلى ٤ / ٢٦٦ و ٢٧٠.

غيره) (١). أما أن يكرر لفظ الطلاق ثلاث مرات، فهذا طلاق واحد، والتكرار هذا (لعب بكتاب الله) كما وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم! (٢). ولقد كان هذا النوع الأخير من الطلاق، والمعروف بالطلاق الثلاث في مجلس واحد، معدودا طلاقا واحدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، حتى قال عمر: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كان لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم! فأمضاه عليهم (٣). فهذا الذي أمضاه عمر، ومضى عليه أصحاب المذاهب الأربعة، ولم يخالف فيه إلا نفر من فقهاءهم (شدوا في ذلك)! منهم ابن تيمية وابن القيم، ووافقهم بعض المتأخرين، هذا الحكم سوف يترتب عليه حكم آخر هو في غاية الخطورة والشناعة:

فالطلاق الثالث لا رجعة بعده حتى تتزوج المرأة رجلا آخر، ويقع بينهما طلاق بائن، بخلاف الطلاق الأول إذ لهما أن يتراجعا ما لم تنقض العدة، فبحسب اجتهاد عمر أعطي الطلاق - الذي كان أولا بحكم القرآن والسنة - حكم الطلاق الثالث، فمنع رجوع الزوجين، وأوجب نكاحا جديدا!

وأغرب ما قاله المتأخرون في تبرير هذا الاجتهاد، قول ابن القيم بأن هذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان!!

(١) سورة البقرة ٢: ٢٣٠.

(٢) سنن النسائي - كتاب الطلاق - ٣ باب ٧ ح ٥٥٩٤، إرشاد الساري ٨ / ١٢٨ ولفظه: (أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟!)، تفسير ابن كثير ١ / ٢٧٨.

(٣) صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب طلاق الثلاث ح ١٤٧٢، مسند أحمد ١ / ٣١٤، سنن البيهقي ٧ / ٣٣٦، وصححه الحاكم والذهبي على شرط الشيخين في المستدرک ٢ / ١٩٦.

هذا القول الذي جعل فتوى الصحابي تشريعا مقابلا للكتاب والسنة!! كذا قال ابن القيم صراحة، قال: (فهذا كتاب الله، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه لغة العرب، وهذا عرف التخاطب، وهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والصحابة كلهم معه في عصره، وثلاث سنين من عصر

عمر على هذا المذهب، فلو عدّهم العاد بأسمائهم واحدا واحدا لوجد أنهم كانوا يرون الثلاث واحدة إما بفتوى وإما بإقرار... ولهذا ادعى بعض أهل العلم أن هذا إجماع قديم، ولم تجمع الأمة على خلافه، بل لم يزل فيهم من يفتي به، قرنا بعد قرن، وإلى يومنا هذا) فذكر جماعة من الصحابة أفتوا بهذا بعد فتوى عمر، مخالفين رأيه، ماضين على ما كان على العهد الأول، منهم: علي، وابن عباس، والزبير، وعبد الرحمن، وابن مسعود، ثم ذكر بعض التابعين وتابعيهم، ثم قال:

(والمقصود أن هذا القول قد دل عليه الكتاب والسنة والقياس والإجماع القديم، ولم يأت بعد إجماع يبطله، ولكن رأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق، كثر منهم إيقاعه جملة واحدة، فرأى من المصلحة عقوبتهم بامضائه عليهم.. فرأى عمر أن هذا مصلحة لهم في زمانه، ورأى أن ما كانوا عليه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعهد

الصديق وصدرا من خلافته كان الأليق بهم...

* فهذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان!

* وعلم الصحابة - رضي الله عنهم - حسن سياسة عمر وتأديبه

لرعيته في ذلك، فوافقوه على ما ألزم به..

* فليتدبر العالم الذي قصده معرفة الحق واتباعه من الشرع والقدر:

في قبول الصحابة هذه الرخصة والتيسير على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتقواهم ربهم تبارك وتعالى في التطليق، فجرت عليهم رخصة الله وتيسيره شرعا وقدرًا.

فلما ركبت الناس الأحموقة وتركوا تقوى الله.. أجرى الله على لسان الخليفة الراشد والصحابة معه، شرعا وقدرًا، إلزامهم بذلك وإنفاذه عليهم... وهذه أسرار من أسرار الشرع والقدر لا تناسب عقول أبناء الزمن! (١).

فهذا مصدر جديد من مصادر التشريع لم يعرفنا به القرآن، ولا عرفنا به النبي، بل الذي عرفنا به القرآن والسنة هو خلاف ذلك تمامًا! فهل عرفنا القرآن أو السنة أن الله تعالى سوف ينسخ أحكاما منزلة بعد موت النبي، بوحى جديد من نوع آخر، فيجري على لسان الخليفة الراشد أحكامه الجديدة الناسخة لأحكام القرآن والسنة؟! أليس هذا من جنس عقائد غلاة الباطنية بأئمتهم؟!

(١) أنظر: أعلام الموقعين ٣ / ٣٤ - ٣٧.

المرحلة الثانية

السنة في عهد الإمام علي عليه السلام
علي عليه السلام له مع السنة علاقة أخرى، يميزها بعدان:
البعد الأول: علمه بها.. علما شموليا وتفصيليا، مستوعبا لأفرادها،
عارفا بحدودها ومواقعها، وليس هذا محض ادعاء، بل حقيقة ثابتة لم يكن
يخفيها، فلطالما أفصح عنها في خطب بليغة يلقيها على الملاء العظيم وفيهم
كثير من الصحابة الذين عاشوا معه ومع الرسول، وعرفوه وعرفوا غيره من
الصحابة، فمن ذلك قوله في كلام يصنف فيه رواية الحديث إلى أربع
طبقات، ثم يقول في مقارنة بينه وبين غيره من الصحابة: (وليس كل
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ويستفهمه، حتى إن كانوا
ليحبون
أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا، وكان لا يمر بي من
ذلك شيء إلا سألته عنه، وحفظته) (١).
وفوق هذا قد كانت هناك عناية ربانية خاصة ترعاه، فإذا أنزل الله
تعالى قوله: (وتعيها أذن واعية) (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (سألت
الله أن
يجعلها أذنك يا علي) فكان علي يقول: (ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم
شيئا فنسيته) (٣).

(١) نهج البلاغة: خ / ٢١٠.

(٢) سورة الحاقة ٦٩: ١٢.

(٣) الشوكاني / فتح القدير ٥ / ٨٨٢، تفسير الطبري ٢٩ / ٥٥، تفسير الماوردي ٦ /

٨٠، تفسير القرطبي ١٨ / ١٧١.

ويبرهن للناس على علمه التفصيلي الدقيق بالسنة، كما هو في الكتاب، في خطاب يأخذ بمجامع القلوب، ما سمع الناس نظيراً له من صحابي غيره قط، فيقول: (وخلف - نبيكم - فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم: كتاب الله (١)، مبيناً: حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله (٢)، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده (٣)، ومحكمه ومتشابهه.. مفسراً مجمله، ومبيناً غوامضه..

بين مأخوذ ميثاق علمه، وموسع على العباد في جهله.. وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه.. وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه.. وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله.. ومباين بين محارمه: من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه.. وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه (٤). هذه أبواب من السنن فتحت على علوم جمة توفر عليها، مع بصيرة لا يخشى عليها لبس ولا توهم.

فهذه صورة عن علمه الشمولي والتفصيلي بالسنة، تلك المرتبة التي لا يشاركه فيها أحد من الصحابة، ومن هنا اشتهر عن تلميذه ابن عباس قوله: أعطي علي تسعة أعشار العلم، وإنه لأعلمهم بالعشر الباقي! (٥). البعد الثاني: منهجه في التعامل مع السنة.. والمنهج هو الذي

(١) أي خلف فيكم كتاب الله.

(٢) الفضائل: المستحبات والنوافل.

(٣) المرسل: المطلق.. والمحدود: المقيد.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١، وانظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢٩٥ - ٢٩٧.

(٥) طبقات الفقهاء: ٤٢.

سيحدد عنده موقع السنة، وطريقته في التعامل معها رواية وتدوينا.. لقد كانت السنة عنده في المكان الذي وضعها الله ورسوله به، حاكمة غير محكوم عليها، لا تنسخها (مصلحة) فالمصلحة كل المصلحة في تحكيمها واتباعها، ولقد ضحى بالخلافة مرة بعد مرة حفاظا على السنة أن تنتهك أو يساء الفهم في حقيقة مكانتها.

رفض أن يبايعوا له بالخلافة على عقد يقرن بسنة النبي سننا أخرى، إذ عرض عليه عبد الرحمن بن عوف أن يبايع له على (كتاب الله وسنة رسوله وسيره الشيخين أبي بكر وعمر) فرفض أن يقرن إلى كتاب الله وسنة رسوله شيئا آخر، فضحى بالخلافة حفظا لمكانة السنة في درس بليغ لم تقف هذه الأمة على جوهره حتى اليوم!

ورفض أن يشتري استقرار الحكم أيام خلافته بمداهنة أهل البدع والانحراف الذين انتهكوا السنن وعطلوا الحدود، في درس عبقرى يظنه القشريون حتى اليوم إخفاقا سياسيا!!

ورفض أن يعزز جيشه بكتيبة جاءت تباع له على خلاف السنة يوم خرج عليه المارقون، قالوا: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين! فرفض أن يقرن بكتاب الله وسنة رسوله شرطا ولو أدى رفضه إلى تمرد هؤلاء والتحاقهم بالمارقين.

ورفض أن يعامل أعداءه ولو مرة بخلاف السنة، وهم يمكرون وينكثون ويغدرون.

إنه الرجل الذي كان منهاجه منهاج القرآن والسنة، لقد كان التجسيد الحي لكتاب الله وسنة رسوله.

ووفق هذا المنهج سوف نرى له - وباختصار شديد - مواقف وسياسة

أخرى مع السنة غير التي رأيناها قبله، فلقد دخلت السنة في عهده بحق في مرحلة أخرى من تاريخها.

وسوف نتناول هذه المرحلة في ثلاثة مباحث بإيجاز تغني فيه الشواهد الحية عن السرد الطويل:
المبحث الأول: تدوين السنة:

إنه قبل كل شيء كان كاتباً للحديث بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان قد اشتهر عنه أمر الصحيفة (صحيفة علي) التي كتبها من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يحملها معه في قائم سيفه، وذكرها البخاري

ومسلم وأصحاب السنن بطرق شتى، فلم تكن هي كل ما كتبه علي من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل كان له صحف أخرى غير هذه، وكان له كتاب

كبير ليس فيه إلا أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عرف ب (كتاب علي) وهو غير

تلك الصحيفة التي اختلفوا في حجمها.

* قالت أم سلمة: (دعا النبي بأديم، وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يملي وعلي يكتب، حتى ملأ بطن الأديم وظهره

وأكارعه) (١).

الصحيفة:

مشهورة جداً أنباء الصحيفة، لا يكاد يخلو منها واحد من كتب الحديث والسنن، البخاري وغيره (٢)، نقلوا منها نصوصاً متفرقة، بعضها

(١) الرامهرمزي / المحدث الفاصل: ٦٠١ ح ٨٦٨.

(٢) صحيح البخاري / كتاب العلم - باب كتابة العلم، وكتاب الديات - باب الدية على العاقلة، سنن ابن ماجه ٢ ح ٢٦٥٨، سنن أبي داود: ح ٢٠٣٥.

أشبه بعناوين لما تحويه، وبعضها فيه تفصيل، وقد جمع ابن حجر العسقلاني كثيرا مما نقل عن تلك الصحيفة، وقال: الجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة، وكان جميع ذلك مكتوبا فيها، ونقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه (١).

وجمع الدكتور رفعت فوزي ما نقل عن هذه الصحيفة في كتب الحديث السنية، في كتاب أسماه: (صحيفة علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دراسة توثيقية فقهية) (٢). كتاب علي:

حديث أم سلمة المتقدم يصف كتابا أكبر من هذه الصحيفة التي لا تفارق قائم سيفه، أو قراب سيفه! وأصبح (كتاب علي) علما يتكرر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، كتاب كبير كانوا يحتفظون به ويتوارثونه: * أخبر أحمد بن حنبل أن كتابا كهذا كان عند الحسن بن علي يرجع إليه (٣).

* وأخرج الإمام محمد الباقر عليه السلام هذا الكتاب أمام طائفة من أهل العلم، منهم: الحكم بن عتيبة، وسلمة، وأبو المقدام، فأروه كتابا مدرجا عظيما، فجعل ينظر فيه حتى أخرج لهم المسألة التي اختلفوا فيها، فقال

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١ / ١٦٦، والقسطلاني / إرشاد الساري ١ / ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢) طبع سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٣) كتاب العلل ومعرفة الرجال ١ / ٣٤٦ ح ٦٣٩، الجامع في العلل ومعرفة الرجال ١ / ١٣٧ ح ٦٢٤.

لهم: (هذا خط على وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ثم توجه إلى الحكم بن

عتيبة فقال له: يا أبا محمد! اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم
يمينا وشمالا، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم
جبريل عليه السلام!) (١).

* وعرض هذا الكتاب أيضا الإمام الصادق عليه السلام، والإمام الهادي علي
ابن محمد بن علي الرضا عليه السلام، غير مرة، يقول: (إنه بخط علي، وإملاء
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نتوارثها صاغرا عن كابر) (٢).
دعوته إلى تدوين السنة:

دعوة صريحة يعلنها على الملأ في مواضع كثيرة:
* خطب الناس مرة، فقال: (قيدوا العلم، قيدوا العلم) يكررها (٣)..
أي اكتبوه واحفظوه لئلا يدرس.

* وقال في خطبة أخرى له: (من يشتري مني علما بدرهم؟).
قال أبو خيثمة: يعني يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم..
فاشترى الحارث صحفا بدرهم ثم جاء بها عليا عليه السلام فكتب له علما
كثيرا (٤).

-
- (١) رجال النجاشي: ٣٦٠ ت ٩٦٦ ترجمة محمد بن عذافر الصيرفي.
(٢) الشيخ الطوسي / تهذيب الأحكام ١ ح ٩٦٣ و ٩٦٦، و ج ٥ ح ١٣٣٧.. وقد
أحصى السيد محمد رضا الحسيني الجليلي عشرات الموارد عن أهل البيت:
في ذكر هذا الكتاب (كتاب علي)، أنظر: تدوين السنة الشريفة: ٦٥ - ٧٩.
(٣) تقييد العلم: ٨٩ و ٩٠.
(٤) الطبقات الكبرى ٦ / ١٦٨، تقييد العلم: ٨٩.

وكانت الكتابة عند علي وبين يديه مشهورة، حدث بها غير الحارث كثير، منهم الشعبي، وعطاء (١)، وأبو رافع وولده عبيد الله وعلي وكانا كاتبين عند علي عليه السلام، والأصبغ بن نباتة، وغيرهم (٢). وعبد الله بن عباس أيضا (٣)، وكان يكتب الحديث ويأمر بكتابته أيضا (٤).
* عادت الحياة إذن إلى السنة النبوية، وتبدد خطر ضياعها ونسيانها.. تلك هي أمانة الرسالة ووعيتها.
من أدب الكتابة عند علي عليه السلام:
تقرأ في أحاديثه اهتماما كبيرا ورعاية لأمر الكتابة، في أروع صورة لوعي حضاري بأمر الكتابة آنذاك:
* يقول: (الخط علامة، فكل ما كان أبين كان أحسن) (٥).
* ويقول للكاتب: (ألق دواتك، وأطل شق قلمك، وأفرج بين السطور، وقرمط بين الحروف) (٦).
* ويقول: (أطل جلفة قلمك، وأسمنها، وأيمن قطتك، وأسمعني طنين النون، وحوور الحاء، وأسمن الصاد، وعرج العين، واشقق الكاف، وعظم الفاء، ورتل اللام، وأسلس الباء والتاء والثاء، وأقم الزاي وعل

-
- (١) أنظر: فؤاد سزكين / تاريخ التراث العربي مج ١ ج ١ / ١٢٧.
(٢) الجلالى / تدوين السنة الشريفة: ١٣٧ - ١٤٣.
(٣) صحيح مسلم / المقدمة.
(٤) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٥٤ - ٣٥٥.
(٥) كنز العمال ١٠ ح ٢٩٥٦٢.
(٦) كنز العمال ١٠ ح ٢٩٥٦٣.. وقرمط: أي قارب.

ذنبها، واجعل قلمك خلف أذنك يكون أذكر لك) (١).

المبحث الثاني: رواية السنة:

الرواية، قبل التدوين، دخلت عهدا جديدا، رفع عنها الحظر،

ودعيت إلى سماعها طوائف الناس:

* قال علي عليه السلام لأصحابه: (تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه

يدرس)! (٢).

* وخطب في الناس مرة فقال: (خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

اللهم ارحم خلفائي - ثلاث مرات - قيل: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟

فقال: الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها

الناس)! (٣).

* وكم قام علي في الناس فذكرهم أحاديث قد غابت عنهم زمنا

طويلا، منع التحديث بها لربع قرن! كمناشدته في الرحبة بحديث الغدير،

وتذكيره بحديث (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن...) وأحاديث في

ذكر أهل البيت وفضلهم، والحديث الذي أعاده على الزبير يوم الجمل،

وغيرها كثير..

هكذا كان عهده مع السنة رواية وتدوينا، فهما السبيل إلى نشرها

وحفظها، وإلا فمصيورها النسيان والضياع!

(١) كنز العمال ١٠ ح ٢٩٥٦٤.

(٢) كنز العمال ١٠ ح ٢٩٥٢٢ عن الخطيب في الجامع.

(٣) شرف أصحاب الحديث: ٣١ ح ٥٨، كنز العمال ١٠ ح ٢٩٤٨٨ عن الرامهرمزي،

والقشيري، وأبي الفتح الصابوني، والديلمى، وابن النجار، وآخرين.

التحذير من الكذب:
في أثناء فتحه لباب الرواية والتدوين كان يكثر التحذير من الكذب
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقرع أسماعهم بين الحين والحين بحديث
النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) (١).
وحتى من كذب عليه في الرؤيا فادعى مناما يكذب فيه على
النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢).
مع القصة:

هذه الحرفة التي تستدرج أصحابها شيئاً فشيئاً نحو الكذب والسخرية
والأساطير، كانت ممنوعة في الإسلام، وأول ما ظهرت في عهد عمر بن
الخطاب حين أذن لتميم الداري بالجلوس في المسجد للقصة! فكان تميم
الداري أول قاص مأذون في الإسلام!
وتميم الداري هذا هو الرجل النصراني الذي قدم في عشرة من قومه
من أرض فلسطين إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العام التاسع للهجرة، بعد فتح
مكة

بعام، وهو صاحب قصة (الجساسة) التي يرويها عنه مسلم وأحمد (٣) هذه
القصة التي لم يحدث بها أحد من الصحابة خلا فاطمة بنت قيس!

-
- (١) أنظر: البخاري / كتاب العلم - باب من كذب على النبي، فتح الباري ١ / ١٦١ -
١٦٢، مسند أحمد ١ / ٧٨ و ١٣٠، كنز العمال ١٠ ح ٢٩٤٩٨.
(٢) أنظر: مسند أحمد ١ / ٩٠ و ١٢٩.
(٣) صحيح مسلم / كتاب الفتن - قصة الجساسة - ح ٢٩٤٢ و ٢٩٤٣، مسند أحمد
٦ / ٣٧٣ و ٣٧٤.

ولا حفظها عنها سوى الشعبي، رغم ما فيها من الوصف الخطير والتهويل،
إذ تقول: إن منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نادى: الصلاة جامعة، فهرع
الناس

إلى المسجد، وكانت هي في من حضر، فقام النبي على المنبر خطيباً وهو
مستبشر، ينف إليهم بشرى، فيقول: (يلزم كل إنسان مصلاه - ثم قال: -
أتدرون لم جمعتمكم؟ جمعتمكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء
فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي حدثكم عن مسيح الدجال!)
ثم ينقل لهم بنفسه ما حدث به تميم الداري من أنه قذفت به السفينة
إلى جزيرة لا يدري ما هي! فرأى فيها دابة لا يعرف قبلها من دبرها من
كثرة شعرها! وهذه الدابة تتكلم، فكلمته بلسان طليق! وأمرته أن يتوجه
إلى رجل في دير في تلك الجزيرة، فتوجه إليه فوجده مكبلاً بأصفاد
الحديد! فحدثه هذا الرجل بأشياء من الغيب! ثم عرفه بنفسه، إنه المسيح
الدجال!!

هذا الخبر، على هذه الصورة، ينبغي أن يرويه غير واحد، فالنبي
يجمع له الناس ويأمرهم أن يلزموا أماكنهم حتى يحدثهم بحديث مصدق
لحديثه!

ومنذ ذلك الحين والبحر يمتلئ كل يوم مراراً، تجوبه السفن المدنية
والعسكرية، وتحلق فوقه الأقمار الصناعية، ولم يزل أمر هذه الجزيرة
مجهولاً! وما بلغ دارون وأصحابه نبأ هذه الدابة الناطقة باللسان العربي!!
لكن البسطاء وذوي القلوب الغافلة طفقوا يستلهمون من هذه القصة
العبر، فوجدوا فيها درساً متقدماً في الدراية، فهي مثال رائع لرواية الفاضل
عن المفضول، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدث عن نصراني أسلم
لتوه!
وأيضاً فقد كشفت عنهم كرباً وحلت لغزاً كان يحيرهم وهم يقرأون:

(وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (١) حتى أتاهم تميم نبأ (الجساسة) هذه! وقالوا: إنما سميت الجساسة لأنها تجس الأخبار للمسيح الدجال!! (٢).
* فلما أسلم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله مظهرك على الأرض كلها، فهب لي قرיתי من بيت لحم!
فقال له النبي: هي لك.. وكتب له بها، فلما فتحت فلسطين جاء تميم بالكتاب إلى عمر، فقال عمر: أنا شاهد ذلك.. فأمضاه! وذكروا أن النبي قال له: (ليس لك أن تبيع) فهي في أيدي أهله إلى اليوم (٣).
ولم تجعل هذه الأرض في بيت المال، ولا صرف ريعها في الكراع والسلاح.. فلا الأرض كانت فدكا، ولا تميم كان فاطمة الزهراء!!
لكن هل احتاج النبي إلى بشرى تميم هذه ليهب له تلك القرية؟! أم أن تميما قد أحرز لغده ثمن إسلامه كما فعل النبي مع المؤلفة قلوبهم؟! لا غرابة، فإن تميما لم يزل في المدينة حتى قتل عثمان، فلما قتل عثمان فر تميم إلى الشام!! (٤).
ذلك لأنه حسن إسلامه جدا! فهو لا يطيق أن يرى عليا في الخلافة! ولا يسعه إلا جوار معاوية!
ولأجل تأكيد حسن إسلامه وعظمة إيمانه، قالوا: إنه كان يختم القرآن

(١) سورة النحل ١٦: ٨٢.

(٢) أنظر هذا كله في صحيح مسلم بشرح النووي مج ٩ ج ١٨: ٧٨ - ٨٤ قصة الجساسة.. ومن المعاصرين الذين اطمأنوا إلى هذا التفسير: د. محمد السيد حسين الذهبي، في كتابه / الإسرائيليات في التفسير والحديث: ٩٣!!

(٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤٣، الطبقات الكبرى ٧ / ٤٠٩.

كله في ركعة!! (١) هكذا، كله في ركعة واحدة!!
وأساطير مضحكة نسجوها حول تميم، صاحب القصص والأساطير.
قالوا: كان عمر يسميه (خير المؤمنين)! لقد جاءه رجل كان قد
أذنب ذنبا، فلبث في المسجد ثلاثا لا يأكل، ثم جاء عمر فقال: تائب من
قبل أن تقدر عليه. فقال له عمر: إذهب إلى خير المؤمنين فانزل عليه.
فذهب الرجل طوعا إلى تميم الداري، فهو خير المؤمنين لا يشك هذا
الرجل!! (٢).

و ذات ليلة خرجت نار بالحرّة، ناحية المدينة، فجاء عمر إلى تميم،
فقال: قم إلى هذه النار!
قال: يا أمير المؤمنين، ومن أنا؟! ومن أنا؟! فلم يزل عمر به حتى
قام معه، فانطلقا إلى النار، فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت الشعب
ودخل تميم خلفها، فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير! قالها
ثلاثا!

هاتان أسطورتان يرويها معاوية بن عجلان، قال الذهبي: رجل
قالوا إنه لا يعرف (٣).

لكن ابن حجر العسقلاني سماه (معاوية بن حرمل) وعده في
الصحابة، وقال: هو صهر مسيلمة الكذاب! وكان مع مسيلمة في الردة، ثم
قدم على عمر تائبا!
ثم يقول ابن حجر عن هذه القصة: (له قصة مع عمر فيها كرامة

(١) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤٧.

واضحة لتميم، وتعظيم كثير من عمر له!! (١).
ومن هنا يستدلون على وثاقة تميم وعلو منزلته (٢).. من شهادة صهر
مسيلمة الكذاب الذي كان معه في الردة!!
وأما قصته هو عن (الجساسة) ومسيح الدجال، فلولا ما حظي به
صحيح مسلم من قداسة لما ارتاب فيها عاقل!
وهذه القداسة هي التي حالت دون السؤال: كيف صحح مسلم هذه
الرواية؟!

إن مسلماً رجل نشأ في وسط يوثق رجالاً ويأخذ عنهم الحديث،
فوثقهم مسلم.. لقد وثقهم ذلك التاريخ الذي عرفناه، وعرفنا كيف وثقهم!
وحين تغفل هذه الحقيقة فقط تنفذ مثل هذه الأساطير...
وأغرب ما في الدفاع عن هذه القصة، دفاع الناقد الدكتور الذهبي
الذي عاد إلى فقرات من القصة نفسها، وأكثر فقراتها محلاً للتهمة والريبة،
ليجعلها دليلاً على صحتها، إذ يقول.. (وهل يتصور من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم

وهو المؤيد بوحى السماء أن يتقبل من رجل يلوث الإسلام بمسيحياته
حديثاً كحديث الجساسة، ثم هو لا يكتفي بذلك بل يجمع أصحابه
ويحدثهم به ويقرر من فوق منبره صدق حديثه؟!!! (٣).

(١) أنظر: الإصابة / ترجمة تميم الداري ١ / ١٨٤، و ترجمة معاوية بن حرملة ٣ / ٤٩٧.

(٢) أنظر: د. محمد سيد حسين الذهبي / الإسرائيليات في التفسير والحديث: ٩١ - ٩٤ وهو يكافح لأجل توثيق تميم! وانظره في ص ٩٥ - ٩٦ وهو يوثق كعب
الأخبار، ويجعل واحداً من أهم أدلته: أن معاوية بن أبي سفيان كان يعظمه!!
(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث: ٩٣.

فانظر كيف أخذ أهم علامات كذب الرواية ليجعله الشاهد على صدقها!!

فمن قال لك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قام مصدقا لهذه الرواية؟! هل سمعته من أحد غير هذه الرواية نفسها؟!

إن مثل هذه القصة ليست مما يرتاب العقل في تكذيبها بعد المسح العلمي الدقيق، إنها تماما من قبيل روايات تقول: إن الأرض تقف على قرن ثور، والثور على ظهر حوت، وهو النون التي في قوله تعالى: (ن والقلم)!!

فإذا كان يصدقها بالأمس ناس عمدتهم وثاقة الرواة، فليس لهذه الوثاقة اليوم محل أمام الكشف العلمي الدقيق والمباشر.. ولا يعاب في ذلك المتقدمون! ولكن يعاب الذين قرضوا القرن التاسع عشر والقرن العشرين وما زالوا يلتمسون ذلك وراء وثاقة الراوي وأهمية المصدر، بدلا من أن يضع ذلك كله موضع الاختبار بناء على هذه الحقائق الملموسة. وتميم هذا هو الذي ابتداء فاستأذن عمر أن يقص، فأذن له بعد أن رده أولا، فهو أول قاص مأذون في الإسلام (١)، فكان يقوم في المسجد كل جمعة يعظ أصحاب رسول الله! قبل أن يخرج عمر إلى الجمعة.. فلما جاء عثمان طلب منه تميم أن يزيده، لأن موقفا واحدا في الأسبوع لا يكفي، فزاده عثمان يوما آخر يتحف فيه أصحاب رسول الله بمزيد من مواعظه! لكن في تلك السنين كان التحدث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) أنظر ترجمة تميم بن أوس الداري في: الإستيعاب، أسد الغابة، الإصابة، سير أعلام النبلاء.

ممنوعا! وكان خيار الصحابة من أولي السابقة والجهاد يحبسون في المدينة إذا ما حدثوا خارجا عنها بشئ من سنن النبي ومواعظه!!
إن لتميم سرا هو من صنف سر كعب الأحبار، لكن تميما تقدم على كعب حين أدرك النبي فسمي صحابيا!
ولما قتل عثمان لم يعد أمر تميم بتلك الدرجة من الخفاء، إنه لم يأت عليا يستأذنه في المضي على شأنه، أو يستزيده، كلا، بل ترك المدينة كلها، ضاقت عليه بما رحبت أرض يحكمها علي، فليس أمامه إلا الشام في أجواء تنتظر تميما ونظراءه، فخرج إلى الشام دون أن يضيع مزيدا من الوقت!

لقد كان عمر يمنع من القصص، ويكذب محترفيها، حتى أقنعه تميم في نفسه خاصة، لكن عليا لم يأذن بشئ من ذلك، ولم يكن تميم بالرجل الساذج أو الغبي الذي يلتمس مثل ذلك من علي! ولا هو بتارك مهنته، فترك بلادا تدين لعلي، قافلا إلى حيث تنفق سلعته، وله في كنف معاوية أوسع جوار!

* والذي لا نزاع فيه أن القصص قد انتشرت في أواخر عهد عثمان، وبرز قصاصون يقصون في المساجد، حتى طردهم علي عليه السلام، كما أثبتته المروزي وغيره (١).
والشيخ الغزالي يثبت ذلك أيضا، ويقول: إن عليا عليه السلام منع القصص في المساجد، ولم يأذن إلا للحسن البصري (١).

(١) أنظر: كنز العمال ١٠ ح ٢٩٤٤٩، وبعده.

(٢) كيف نتعامل مع القرآن: ٦٧

والشيخ أبو زهرة يثبت ذلك بشكل أكثر وضوحاً، فيقول: ظهر القصص في عهد عثمان رضي الله عنه، وكرهه الإمام علي رضي الله عنه حتى أخرج القصاصين من المساجد، لما كانوا يضعونه في أذهان الناس من خرافات وأساطير، بعضها مأخوذ من الديانات السابقة بعد أن دخلها التحريف وعراها التغيير!

قال: وقد كثر القصص في العصر الأموي، وكان بعضه صالحاً وكثير منه غير صالح، وربما كان هذا القصص هو السبب في دخول كثير من الإسرائيليات في كتب التفسير وكتب التاريخ الإسلامي.. وإن القصص في كل صورته التي ظهرت في ذلك العصر كان أفكاراً غير ناضجة تلقى في المجالس المختلفة، وإن من الطبيعي أن يكون بسببها خلاف، وخصوصاً إذا شايع القاص صاحب مذهب أو زعيم فكرة أو سلطان، وشايع الآخر غيره، فإن ذلك الخلاف يسري إلى العامة، وتسوء العقبي، وكثيراً ما كان يحدث ذلك في العصور الإسلامية المختلفة (١). فلماذا لا يكون كلا الأمرين قد أرادهما تميم الداري: دخول الإسرائيليات والأساطير في التفسير والتاريخ، وظهور الخلافات والنزاعات بين المسلمين؟!!

لماذا إذن فر من علي إلى معاوية؟! والأمران اللذان أرادهما تميم، ونشط فيهما كعب الأخبار أيضاً في عهد عثمان، وساهم فيهما آخرون، كلاهما قد أراد علي عليه السلام أن يقطع دابرهما، ويخيب آمال هؤلاء الذين يكيّدون للإسلام وأهله كل شر،

(١) محمد أبو زهرة / المذاهب الإسلامية: ٢٠.

ويظهرون بمظاهر النسك التي ألفوها في اليهودية والنصرانية.
المبحث الثالث: إحياء السنة:

في غير الرواية والتدوين، تحدثنا الأخبار الدقيقة عن مشكلات أخرى قد تعرضت لها السنة، فتداركها علي:

١ - قال أبو موسى الأشعري: (لقد ذكرنا علي بن أبي طالب صلاة كنا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إما نسيناها، أو تركناها عمداً!!) (١).
إذن هذه الصلاة أيضاً قد أصيبت في صورتها، وطريقة أدائها؟!
ثمة شهادة أخرى على ذلك، شاهدها الصحابي الجليل أبو الدرداء،
الذي توفي في خلافة عثمان! (٢).
* قالت أم الدرداء: دخل علي أبو الدرداء مغضباً، فقلت: من أغضبك؟!
قال: (والله لا أعرف فيهم من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً)! (٣).

إذن كل شيء قد تغير عن أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم تعد تلك السنن التي ميزت المجتمع أيام الرسول، ولم يبق فيهم إلا صورة الاجتماع في الصلاة، الاجتماع وحده، لا سنن الصلاة التي تحدث عنها أبو موسى

(١) مسند أحمد ٤ / ٣٩٢ من طريقين، وهما في الطبعة المرقمة في ج ٥ ح ١٩٠٠٠ و ١٩٠٠٤.

(٢) أنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٥٣، والإصابة ٣ / ٤٦.

(٣) مسند أحمد ٦ / ٤٤٣ من طريقين، وهما في الطبعة المرقمة في ج ٧ ح ٢٦٩٤٥ و ٢٦٩٥٥.

الأشعري.

٢ - وقبل قرأنا صلاة عثمان وعائشة في السفر تماما، لا يقصران، وقد أبي علي ذلك، وأنكره نفر من الصحابة، وحين مرض عثمان في تلك الأثناء ودعوا عليا للصلاة بهم، قال: (إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). فقال أكثرهم: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين!! وهكذا تتغير السنن وتختفي لتحل محلها محدثات ينصرها كثير وكثير من السلف، ثم تصل إلى اللاحقين فيأخذون عن سلفهم برضا وتسليم لفرط حسن الظن بهم حتى أعفاهم من النقد ومن ضوابط التحقيق والنظر!

٣ - وقصة علي مع صلاة التراويح جماعة، أيام خلافته، هي الأخرى من هذا القبيل، فحين أمر عليه السلام بتفريقهم ليعيدهم على ما كان أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: (وا سنة عمراه)!! (١). فهم يعلمون أنها سنة عمر، وأن الذي يدعوهم إليه علي ٧ هي سنة النبي!!

تقرأ ذلك صريحا في صحيح البخاري، وغيره، أنها سنة عمر (٢). وفي صحيح البخاري أن عمر لما جمع الناس عليها قال: (نعم البدعة هذه!) (٣).

قال القسطلاني في شرحها: سماها بدعة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسن لهم، ولا كانت في زمن الصديق، ولا أول الليل، ولا هذا

(١) شرح نهج البلاغة ١٢ / ٢٨٣.

(٢) صحيح البخاري - كتاب صلاة التراويح.

(٣) صحيح البخاري - كتاب صلاة التراويح - ٢ ح ١٩٠٦.

العدد)!(١).

٤ - وتقرأ في أوليات عمر: (هو أول من حرم المتعة) وتقدم حديثها (٢)، وأما قول علي عليه السلام فيها فهو المشهور: (لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شفى) أو: (إلا شقي).

٥ - وفي أوليات عمر أيضا: (وأول من جمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز) (٣).

أخرج أحمد من حديث حذيفة بن اليمان، أنه صلى على جنازة فكبر خمسا، ثم التفت إلى الناس، فقال: (ما نسيت ولا وهمت، ولكن كبرت كما كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)!(٤)، يريد أن يذكرهم بأمر نسوه

واستبدلوه بأمر محدث مضوا عليه حتى نسوا الأمر الأول، وكم توجع حذيفة لهذا النسيان أو التناسي!

ومثله ثبت عن زيد بن أرقم، كبر على الجنازة خمسا، فاستنكروا عليه، فقال: (سنة نبيكم).. (ولن أدعها لأحد بعده).. (ولن أدعها أبدا) (٥).

والتكبيرات الخمس هي التي مضى عليها علي عليه السلام (٦)، ومثله صنع

(١) إرشاد الساري ٤ / ٦٥٦.

(٢) هذا كله تقدم في ص ٤٧ - ٥١، وانظر أيضا: الأوائل - لأبي هلال العسكري -:

١١٢، تاريخ الخلفاء - للسيوطي -: ١٢٨.

(٣) العسكري / الأوائل: ١١٣، ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٣ / ٥٩ السيوطي /

تاريخ الخلفاء: ١٢٨.

(٣) مسند أحمد ٥ / ٤٠٦.

(٤) مسند أحمد ٤ / ٣٧٠ - ٣٧١، سنن الدارقطني ٢ / ٧٥.

(٥) مصنف عبد الرزاق ٣ / ٤٨١، منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ١ / ٢٢١ -

٢٢٢.

الإمام الحسن عليه السلام (١)، وعليها فقه أهل البيت عليهم السلام.
٦ - ومع عثمان، في أمر الزكاة، بعث إليه علي عليه السلام بكتاب فيه حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الزكاة، بعثه بيد ولده محمد ابن الحنفية، فقال له عثمان: أغنها عنا!!

فرجع بها إلى أبيه عليه السلام، فقال له: ضع الصحيفة حيث وجدتتها (٢).
هذه سنن طراً عليها هذا النحو من التبديل والتغيير، فكان تداركها لإحياء السنة النبوية الثابتة هو من أهم ما وضعه علي عليه السلام نصب عينيه وهو يتولى الحكم: (لنرد المعالم من دينك).
وهكذا استعادت السنة روحها ودورها في أيامه، ليكون ذلك طريقاً إلى حفظها من الضياع وحفظ مكانتها في التشريع.
مقولات فيها مصادرة:
* الأستاذ الدكتور نور الدين عتر / في كتابه (منهج النقد في علوم الحديث).

* محمود أبو رية / في كتابه (أضواء على السنة المحمدية).
* الدكتور محمد سلام مذكور / في كتابه (مناهج الاجتهاد في الإسلام).

(١) الأحبار الطوال: ٢١٦، شرح نهج البلاغة ٦ / ١٢٢.
(٢) ابن حزم / الأحكام ١ / ٢٥٣.

الأولى: قال بها الدكتور نور الدين عتر حين نسب منع تدوين السنة إلى إجماع الصحابة!

فبعد أن نقل رغبة عمر في التدوين أولاً، واستشارته الصحابة وإشارتهم عليه بالتدوين، ثم تبدل رأي عمر، قال: وقد أعلن عمر هذا على ملأ من الصحابة رضوان الله عليهم وأقروه، مما يدل على استقرار أمر هذه العلة في نفوسهم! (١).

وهذا القول ناشئ عن رؤية مثالية أولاً، وفيه مصادرة لآراء الصحابة ثانياً:

فالرؤية التي تصور سكوت الصحابة أمام أي قرار تصدره الخلافة، على أنه إجماع إقراري، رؤية مثالية، وهذا الخبر هو واحد من أهم الأدلة على ذلك، فقبل شهر واحد فقط من صدور هذا القرار كانوا قد أعطوا رأيهم المؤيد لتدوين السنة بالإجماع، ولم يظهر في ذلك أدنى خلاف حتى صدر قرار الخليفة بعكسه، فبعد أن أعطوه الرأي ثم عزم على خلافه فلا محل إذن للمعارضة.

وإذا زعمنا أن سكوتهم كان إقراراً كاشفاً عن الإجماع، فما هي قيمة إجماعهم السابق على خلافه؟!

هل سيبقي هذا التصور على شيء من قيمة (إجماع الصحابة)؟ لا في هذه المسألة وحدها، بل في كل مسألة!

وثمة دليل عملي على عدم إقرار الصحابة بقرار المنع: لقد راحوا من وراء الخليفة يكتبون الحديث والسنن، حتى كثرت

(١) منهج النقد في علوم الحديث: ٤٤.

عندهم الكتب، فوصل خبرها إلى عمر، فقام فيهم خطيباً، فقال: (أيها الناس، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي). فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بها، فأحرقها بالنار! (١).

فما زال الصحابة إذن عند إجماعهم الأول، وما زال عمر عند رأيه المخالف.

والثانية: ما خلص إليه محمود أبو رية في إثبات النهي عن تدوين السنة، وانصياح الصحابة لهذا الأمر انصياعاً تاماً، ليقضي على السنة كلها بالضياع، ولم يبق منها إلا حديثين صحا عنده، وبلغا التواتر، وهما: حديث النهي عن التدوين، وحديث (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) مؤكداً عدم ورود كلمة (متعمداً) في هذا الحديث، ليجعل من الكذب عليه رواية الحديث بالمعنى! متمسكاً بأدلة حاكمية عليه، لا له (٢). فكل ما ورد عن أبي بكر وعمر والصحابة في عهديهما كان صريحاً جداً بعدم ورود النهي عن تدوين السنة من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. أضف إلى ذلك ما هو ثابت من تدوينها بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بإذنه، ومن ذلك:

* الصحيفة التي كانت في قائم سيفه صلى الله عليه وآله وسلم فيها بعض السنن، ثم

(١) الطبقات الكبرى ٥ / ١٨٨، تقييد العلم: ٥٢.

(٢) راجع كتابه (أضواء على السنة المحمدية) والذي ارتضى أن يسميه في طبعته الثانية باسم (دفاع عن السنة)!!

صارت عند علي عليه السلام (١).
 * وما ثبت من كتابة عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: فنهتني قريش وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتكلم في الرضا والغضب؟! فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأومأ بإصبعه إلى فمه وقال: (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق) (٢).
 * وقول أبي هريرة: إن عبد الله بن عمرو كان يكتب، وكنت لا أكتب (٣).
 * وحين طلب أبو شاة اليماني من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتبوا له خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة، وكان أبو شاة قد شهدها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اكتبوا لأبي شاة) (٤).
 * وحديث أنس عن رسول الله ﷺ: (قيدوا العلم بالكتاب) (٥).
 * وكان أنس قد كتب حديثا كثيرا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظه حتى وقت متأخر من عهد الصحابة، فكان يملئ الحديث، حتى كثر عليه الناس يوما يطلبون الحديث، فجاء بمجال (٦) من كتب، فألقاها،

(١) ذكرها البخاري ومسلم وأصحاب السنن.
 (٢) مسند أحمد ٢ / ٢٠٧، سنن أبي داود ٣ / ٣١٨ ح ٣٦٤٦، المستدرک ١ / ١٠٤ - ١٠٥ ووافقه الذهبي.
 (٣) صحيح البخاري - كتاب العلم ١ / ٤٠ ح ١١٣.
 (٤) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب ٣٩ ح ١١٢، سنن الترمذي ٥ ح ٢٦٦٧، سنن أبي داود - كتاب العلم ٣ / ٣١٩ ح ٣٦٤٩.
 (٥) جامع بيان العلم ١ / ٨٦ - ٨٧.
 (٦) المجال: جمع مجلة، وهي الصحيفة التي يكتب فيها.

ثم قال: (هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله ٦٥ وعرضتها عليه) (١).

* وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من كتاب في الصدقات، والديات، والفرائض، والسنن، لعماله (٢).

* وقال صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الأخير: (هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده) (٣).

وغير هذا كثير، وقد تناولت الكتابة في عهده صلى الله عليه وآله وسلم قسما كبيرا من الحديث يبلغ في مجموعه ما يضاهي مصنفا كبيرا من المصنفات الحديثية (٤).

أما موقف الصحابة من الكتابة فقد عرفناه، وقد ذكر ابن عبد البر وغيره عددا كبيرا من كتب الصحابة، ومنهم عبد الله بن مسعود الذي عدوه في المانعين من الكتابة، فقد أخرج ابنه عبد الرحمن كتابا وحلف أنه خط أبيه بيده (٥).

وأما حديث أبي سعيد الخدري الذي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن، فمن كتب غير القرآن فليمحه) والذي عدوه أصح ما ورد في النهي عن كتابة الحديث (٦)، وهو أصح حديث عند

(١) تقييد العلم: ٩٥ - ٩٦.

(٢) نور الدين عتر / منهج النقد: ٤٧ - ٤٨.

(٣) متفق عليه.

(٤) نور الدين عتر / منهج النقد: ٤٥، وانظر: د. محمد عجاج الخطيب / أصول

الحديث: ١٨٧ - ١٩٠.

(٥) جامع بيان العلم: ٨٧، أصول الحديث: ١٦٠ - ١٦٥، و ١٩١ - ٢٠٥.

(٦) محمود أبو رية / أضواء على السنة المحمدية: ٤٨.

أبي رية، فقد رآه كثير من المحققين موقوفا على أبي سعيد، وليس حديثا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا قول البخاري وآخرين (١). بل ثبت عن أبي سعيد نفسه خلافه، حين شهد أنه كان يكتب التشهد - تشهد الصلاة - عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢).
والثالثة: مقولة الدكتور محمد سلام مذكور.
إذ مثل لاختلاف الصحابة في فهم النص بما وقع بالنسبة لتدوين السنة، لما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري:
(لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار).
قال: فقد اتجه فقهاء الصحابة في ذلك إلى وجهتين متعارضتين:
* فريق منهم، وكانت له الغلبة: فهموا أن ذلك نهى عام وليس قاصرا على كتاب الوحي! فامتنعوا عن تدوين السنة، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب... وقالوا: إن ما دونه بعض الصحابة منها إنما كان تدوينا مؤقتا حتى يحفظه ثم يمحي المكتوب بعد ذلك.
* بينما ذهب الفريق الآخر إلى أن ذلك كان خاصا بكتاب الوحي دون سواهم، خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، بدليل أنه أباح الكتابة عند أمن الاختلاط، كما ثبت في حديث عبد الله بن عمرو (٣)..
وهذا التفصيل كله لا يقوم على حجة صحيحة، بل الحجة الصحيحة تنقضه بكامله، كما سنتابعه في الفقرات الآتية:

(١) أنظر: فتح الباري: ١ / ١٦٨، تدريب الراوي ٢ / ٦٣.

(٢) تقييد العلم: ٩٣.

(٣) مناهج الاجتهاد في الإسلام: ٨٥.

أ - الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري، تقدم أنه موقوف عليه وليس من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قال البخاري وغيره.

ب - إن الفريق الأول، والذي كانت له الغلبة، لم يحتج يوما ما بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن كتابة السنة، فهذا لم يحدث منهم البتة.

ج - إن هذا الفريق نفسه قد باشر تدوين السنة أحيانا ابتداء، كما صنع أبو بكر، أو أمر بتدوينها وشاور الصحابة على ذلك فأجمعوا على كتابتها دون تردد. وفي ذلك كله لم يظهر لهذا الحديث المروي عن أبي سعيد ذكر ولا أثر.. بل فعلهم هذا، وهم الفريق المانع، لهو أوضح دليل على أن النبي: ٦ لم يمنع من تدوين السنة قط، لا منعا خاصا ولا عاما.

د - الحديث المذكور عن أبي سعيد الخدري يقول فيه أيضا: (وحدثوا عني ولا حرج) وهذا الفريق الغالب قد منع عن التحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم بنفس القوة التي منع فيها عن التدوين! فكيف يدعى أنهم امتنعوا عن التدوين تمسكا بنهي النبي عنه؟! فماذا عن رواية حديثه وسنته التي أمر بها على أي حال إلا أن يقعوا بالكذب؟! ه - إن الاعتذار بخوف اختلاط القرآن بالسنة اعتذار واه ومتهافت، وقد مر نقده مفصلا.

و - إن هذا التمييز بين كتاب الوحي وغيرهم في شأن كتابة السنة تمييز لم يعرف في عهد الصحابة قطعا، ولا يستطيع أحد نسبته إليهم بصدق، وإنما هو من تبرير المتأخرين دفعا لما يلزمهم من تخطئة المانعين من كتابة السنة، ليس أكثر من ذلك. وهنا ملاحظتان تجدر الإشارة إليهما:

١ - المقولات الثلاث هذه جامعة لغيرها متضمنة لها، لذا اكتفينا بذكرها عن غيرها.

٢ - نسبة هذه المقولات إلى الأعلام المذكورين لم تأت من كونهم أول من قالوا بها، فهي آراء قديمة تتصل بعصر التابعين، وبعضها بعصر الصحابة، لكن الأعلام المذكورين انتخبوها من بين الرؤى وحاولوا تدعيمها بالدليل والبرهان، فحظيت على أيديهم بالرواج نظرا لأهمية وسعة انتشار كتبهم التي تضمنتها، وعلى هذا الأساس الأخير كان تصنيفنا.

خلاصة في نقاط

- ١ - كان تدوين الحديث أمراً مألوفاً يمارسه الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، برضا منه، وبإذنه أحياناً، وبأمره أحياناً أخرى. أما رواية الحديث ونشره فقد أمر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمراً صريحاً ومكرراً.
- ٢ - ظهر في عهد أبي بكر أول أمر بالمنع من الحديث، لعدة أو أخرى.
- ٣ - أحرق أبو بكر كتاباً يضم خمسمئة حديث كان قد كتبها بيده، وهذا أول كتاب حديث أحرق.
- ٤ - واصل عمر المنع من الحديث، مؤكداً ذلك بعهوده على عماله، وبحبسه بعض الصحابة في المدينة حين لم يأمن امتثالهم أمره.
- ٥ - أحرق عمر مزيداً من كتب الحديث، جمعها من عدد كبير من الصحابة.
- ٦ - ابتدأ عثمان سيرته مع الحديث بقوله: (لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر). لكنه لم يدقق في ذلك كما فعل أبو بكر وعمر، فلا أحرق شيئاً من كتب الحديث، ولا تتبع كتابه ورواته، بل على العكس، فقد وجد أبو هريرة وكعب الأحماس خاصة في عهده ما لم يحلما ببعضه في عهد عمر.
- ٧ - وافق الخلفاء على المنع نفر قليل من الصحابة لا يتجاوزون

الأربعة: عبد الله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وأبو موسى الأشعري،
وزيد بن ثابت (١).

٨ - كانت السيرة المذكورة سببا في ضياع حديث ليس بالقليل، إن
اقتصر حفظه على هذه المصادر التي أحرقت وأتلفت، ليس على يد
أبي بكر وعمر فقط، بل مارس غيرهم نحو ذلك، فقد جاء علقمة
بصحيفة (٢) من اليمن أو من مكة، فيها أحاديث في أهل البيت، بيت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل ومعه جماعة على عبد الله بن مسعود، قالوا:
فدفعنا

إليه الصحيفة، فدعا بطست فيه ماء! فقلنا: يا أبا عبد الرحمن، انظر فيها،
فإن فيها أحاديث حسانا! قالوا: فجعل يميثها فيها! (٣).

وكتب أبو بردة، عن أبيه - أبي موسى الأشعري - كتب كثيرة، فقال له
أبوه: ائتني بكتبك، فلما أتاه بها غسلها! (٤).

٩ - وعلى خلاف ذلك فإن الأكثرين من الصحابة ما زالوا على الأمر
الشرعي برواية الحديث والأذن بكتابتها، فحدثوا وكتبوا، منهم من عرضت
كتبه للإحراق أو الغسل، ومنهم من حفظها عن عيون الخليفة فبقيت بعده،
كما هو مشهور عن: صحيفة علي عليه السلام، وصحيفة جابر بن عبد الله
الأنصاري، وكتاب أبي رافع مولى رسول الله، وكتب أنس بن مالك،
وصحيفة سعد بن عباد، وصحيفة عبد الله بن عمرو، وكتاب عبد الله بن

(١) أنظر: تدوين السنة الشريفة: ٢٦٩ عن مقدمة ابن الصلاح: ٢٩٦، وعلوم
الحديث - لابن الصلاح / تحقيق عتر - : ١٨١.

(٢) تكرر ذكر الصحيفة في هذه الفقرة، والمراد بالصحيفة:

(٣) تقييد العلم: ٥٤. وقوله: (جعل يميثها فيها): أي يفركها في طست الماء لتذوب
فيه الكتابة.

(٤) جامع بيان العلم: ٧٩ ح ٣١٧ و ٨٠ ح ٣٢٥.

مسعود الذي أخرجه ابنه عبد الرحمن، وكتاب أسماء بنت عميس، وكتاب محمد بن مسلمة الأنصاري، وغيرها (١).
١٠ - الإمام علي عليه السلام أول حاكم يدعو إلى كتابة السنة، ويحث الكتاب أن يكتبوا ما يحدثهم به ويمليه عليهم، وينشر على الملاء أحاديث نبوية كانت طيلة ربع قرن ممنوعة منعاً مغلظاً. وهو في نفس الوقت يسد الأبواب على الكذابين والمشبوهين، فلا يجدون تحت سلطانه متنفساً، فإما أن يرفعوا ويستقيموا، وإما أن يسكتوا ويكفوا فرقا، وإما أن تضيق صدورهم فيفرون إلى الشام، حيث معاوية الذي يشتري منهم دينهم بما يطمعون به من دنيا!

(١) أنظر: أصول الحديث: ١٦٠ - ١٦٥ و ١٩١

الأرائج المسكية
في تفضيل البضعة الزكية
عليها أفضل صلاة وأزكى تحية
السيد حسن الحسيني
آل المجدد الشيرازي
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله
المطهرين الحنفاء، وارض اللهم عن صحبه ذوي النجاة والوفا، الناهجين
سبيله ومن تبعهم واقتفى.
وبعد،

فلما اتفق لي الوقوف على كلام الشيخ الفاضل أبي فراس محمد
بدر الدين النعساني الحلبي في المفاضلة بين النساء، فإذا هو قد ركب
متن عمياء، وخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء، وخالف صريح السنن
وأقوال العلماء، فاختلج بالبال، أفراد المسألة بنبذة من المقال، تكون وافية
بالمقصود، بعون المعبود الودود، وهو المستعان، وعليه التكلان.

إعلم - هداانا الله وإياك إلى منهجه القويم، وصراطه المستقيم - أن الرجل ادعى أن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن

الله تعالى بالإيحاء، وأن أفضل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم عائشة! فهنا دعويان ينبغي

التكلم عليهما، وبيان الحق فيهما.

* أما الأولى:

فقد ذكر في تعليقه على (الدر النضيد من مجموعة الحفيد) (١): أن الذي تشهد له الأدلة من القرآن والسنة أن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل النساء

جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بالإيحاء، كأُم موسى وأُم عيسى، قال الله تعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فهذا ظاهر في أنهن أفضل من غيرهن.

قال: ولا يعارضه قوله عليه الصلاة والسلام: (خير نسائها فاطمة بنت محمد) فإنه عليه السلام لم يقل: خير النساء فاطمة، وإنما قال: خير نسائها، فخص ولم يعم، والله تعالى في تفضيل نساء نبيه عم ولم يخصص، فلا يجوز أن يستثنى منه إلا من استثناه نص ظاهر، فصح أنه عليه السلام إنما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه، فاتفقت الآية مع الحديث. انتهى كلامه بلفظه.

ولا يخفى على الحاذق اللبيب مواقع النظر في هذا الكلام، فلنبينها، وبالله تعالى الاستعانة والاعتصام.

(١) الدر النضيد من مجموعة الحفيد: ٥٦.

* الأول:

دعواه اختصاص بعض النساء بالإيحاء:
وقد قلد في ذلك جماعة من المتقدمين كالأشعري، حيث نقل عنه
أن في النساء عدة نبيات! وحصرهن ابن حزم في ست: حواء وسارة
وهاجر وأم موسى وآسية ومريم! ونقله القرطبي في (التمهيد) عن أكثر
الفقهاء - ولم يذكر سارة ولا هاجر - وقال: الصحيح أن مريم نبية! وتعقبه
القاضي عياض بأن الجمهور على خلافه.
وذكر النووي في (الأذكار) (١) عن إمام الحرمين أنه نقل الإجماع على أن
مريم ليست نبية، ونسبه في (شرح المذهب) لجماعة.
وجاء عن الحسن البصري: ليس في النساء نبية ولا في الجن.
وقال السبكي الكبير: اختلف في هذه المسألة، ولم يصح عندي في
ذلك شيء (٢).
وقال الحافظ السيوطي: الأصح أنها - يعني مريم - غير نبية (٣).
وقال العلامة ابن قاسم في (الآيات البينات): زعم نبوتها - يعني
مريم - كزعم نبوة غيرها من النساء، كهاجر وسارة، غير صحيح لاشتراط
الذكورة في النبوة على الصحيح، خلافا للأشعري. انتهى (٤).
وفي تفسير الألوسي (٥): أن مريم لا نبوة لها على المشهور.

(١) الأذكار: ١٣٠.

(٢) فتح الباري ٦ / ٥٤٢ - ٥٤٣، وج ٦ / ٥٤٦، وج ٧ / ١٧٣.

(٣) فيض القدير ١ / ١٠٥.

(٤) روح المعاني ٢٨ / ١٦٥.

(٥) روح المعاني ٢ / ١٤٠.

قلت:

وقد حكى جماعة كالبيضاوي وأبي حيان والكرمانى والنووي الإجماع على عدم نبوة النساء (١).

هذا، مع أن معنى الإيحاء في مثل قوله تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية.. الإلهام والقذف في القلب كما هو كذلك في تكليمه عز سلطانه بعض خلقه - غير الأنبياء والرسل - كقوله تعالى: (وأوحى ربك إلى النحل) وقوله سبحانه: (بأن ربك أوحى لها) فليس كل إيحاء وحي نبوة، والله تعالى أعلم.
* الثاني:

احتجاجه على أفضلية نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عز من قائل: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن).
وقد سبقه السبكي إلى ذلك (٢)، وزعم الرافعي أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل نساء هذه الأمة (٣).

وهو مدخول بأن غاية ما تدل عليه الآية تفضيل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم على نساء غيره، لا تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء

(١) فيض القدير ٤ / ١٢٥، روح المعاني ٢٠ / ٤٥، فتح الباري ٦ / ٥١٦، شرح صحيح مسلم ٩ / ٣٠٤، مرقاة المفاتيح ٥ / ٣٤٧، السيرة النبوية - لابن دحلان - ١ / ٢٢٢.

(٢) فتح الباري ٧ / ١٧٣.

(٣) فتح الباري ٧ / ١٣٦.

- كما اختاره الزمخشري وغيره (١) -، ومع ذلك فلا دليل على دخول الزهراء عليها السلام في المفضل عليهن. مضافا إلى أن ما ذهب إليه السبكي هنا مخالف لما اشتهر عنه من تفضيل سيدة نساء العالمين على أمهات المؤمنين - كما سيأتي إن شاء الله تعالى -.

اللهم إلا أن يريد تفضيلهن بعد استثناء الصديقة الطاهرة عليها الصلاة والسلام، كاستثنائه من قيل إنها نبيه كمریم عليها السلام. ثم لا يخفى عليك أنه يلزم على هذا القول أن تكون كل واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من فاطمة عليها الصلاة والسلام، مع أنه ليس كذلك - كما عرفت ويأتي -.

وأجيب عنه: بأنه لا مانع من التزامه، إلا أنه يلتزم كون الأفضلية من حيث أمومة المؤمنين والزوجية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا من سائر الحشيات

الأخر، بل هي من بعض الحشيات، كحشية البضعية أفضل من كل من الخلفاء الأربعة (٢)، وهو كما ترى.

إذ ليس لأمومة المؤمنين وزوجية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاتصال به - من حيث هي - كرامة عند الله تعالى، وإنما الفضل لهن في الاتقاء كما دل عليه قوله تعالى: (إن اتقيتن) وهو شرط لنفي المثلية وفضلهن على النساء، وجوابه محذوف دل عليه المذكور، والاتقاء بمعناه المعروف في لسان الشرع، والمفعول محذوف أي: إن اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضا

(١) الكشف ٣ / ٢٣٥، روح المعاني ٢٢ / ٥.

(٢) روح المعاني ٢٢ / ٤.

رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد إن دمتن على اتقاء ذلك، ومثله شائع، أو هو على

ظاهره - كما قال الشهاب الألوسي - (١).

ونظير ذلك صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنها من حيث هي ليست كرامة تستوجب التفضيل، وإنما تكون كذلك إذا اقترنت بالإيمان والتقوى كما قال عز من قائل: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا - إلى قوله تعالى: - وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات أجرا عظيما)، على أن ظاهر قوله عز وجل: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية.. على حاله، فتندفع تلك الدعوى (٢).

ثم لو سلمنا أفضلية أمهات المؤمنين على سائر النساء، فإننا نقطع بأن عائشة لم تكن أفضلهن، بل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها فضلاهن.

أما الأول: فلأن الله تبارك وتعالى قد أمر نساء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأوامر فقال عز وجل: (وقلن قولاً معروفاً* وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) الآية.

فهل كان من قول المعروف قولها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فيما جرى بينهما من كلام - : تكلم أنت ولا تقل إلا حقاً (٣)؟!

(١) روح المعاني ٢٢ / ٥.

(٢) روح المعاني ٢٨ / ١٥٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة، وذكره الغزالي في آداب المعاشرة من كتاب النكاح من إحياء علوم الدين ٢ / ٤٣.

وقالت له صلى الله عليه وآله وسلم مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟! (١)!!

وأخرج أحمد وأبو داود (٢) عن النعمان بن بشير، قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأذن له فدخل فقال: يا ابنة أم رومان - وتناولها - :-

أترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! قال: فحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبينها.. الحديث.

وقد بلغ بها الحال أن أغاضت الحليم غيظا، حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر: يا أبا بكر، ألا تعذرني من عائشة؟! (٣).
أم هل كان من قول المعروف قولها - لما استفزت حمية الناس، وألبتهم على قتل عثمان - : اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا (٤)؟!

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديثها معنعا، وذكره الغزالي أيضا في الموضع المذكور آنفا.

(٢) مسند أحمد ٤ / ٢٧٢، سنن أبي داود ٤ / ٣٠٠ ح ٤٩٩٩، باب ما جاء في المزاح من كتاب النكاح.

(٣) طبقات الصحابة ٨ / ٥٦ - طبعة ليدن سنة ١٣٢٢ هـ.

(٤) بل هي أول من سمته بذلك، راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ / ٢١٥، و ٢٠ / ١٧ و ٢٢، وتاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧، والنهاية - لابن الأثير - ٥ / ٨٠، وتاج العروس ٨ / ١٤١، والكمال في التاريخ ٣ / ٢٠٦، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٤٠٢ هـ.

وقال الجوهرى في الصحاح ٥ / ١٨٣٢ - مادة (نعثل): النعثل: الذكر من الضباع، ونعثل اسم رجل كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبه بذلك الرجل. انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية ٥ / ٧٩ - ٨٠: في مقتل عثمان: (لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسب نعثلا) كان أعداء عثمان يسمونه نعثلا تشبيها برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعثل، وقيل: النعثل: الشيخ الأحمق، وذكر الضباع، قال:

ومنه حديث عائشة: (اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا) تعني عثمان. انتهى.

وقال الفيروزآبادي في القاموس ٤ / ٥٩: النعثل - كجعفر - : الذكر من الضباع، والشيخ الأحمق، ويهودي كان بالمدينة، ورجل لحيانى - أي طويل اللحية - كان يشبه به عثمان إذا نيل منه. انتهى.

وانظر: تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٠، والإمامة والسياسة - لابن قتيبة -: ٤٣، في مخاطبتهم عثمان نعثلا، فمن شطط الألوسى ما ذكره في ج ٢٢ / ١١ من روح المعاني في هذا المقام، فراجع واحكم بالحق ولا تشطط.

--

(२०९)

وما عساك أن تقول في قولها - لما انتهى إليها قتل علي عليه السلام - :
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر
وسألت عن قاتله فقيل: رجل من مراد، فقالت:
فإن يك نائيا فلقد نعاه * غلام ليس فيه التراب
فقالت زينب بنت أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟! فقالت: إني
أنسى، فإذا نسيت فذكروني!! (١).
وهل كان من امتثال أمر الله تعالى بقرارها في بيتها خروجها - دون
صواحبها من أمهات المؤمنين - بذلك العسكر الجرار؟!
أم كيف رأت بيت ابن ضبة بيتها الذي أمر الله أن تقر فيه؟!
بل ما أشد انتهائها بنهي الله إياها عن التبرج، إذ حسبت قيادتها لتلك
الجيوش سرداقا ضربه طلحة والزبير عليها يصونها عن تبرج الجاهلية
الأولى ويفرغها للصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله!!
أم كان من طاعة الله ورسوله بغيها وخروجها على إمام زمانها وسفكها
دماء المسلمين، في وقعة الجمل؟! وركوبها البغل وتأجيجها نار الفتنة يوم

(١) تاريخ الطبري ٤ / ١١٥، طبقات الصحابة ٣ القسم الأول ص ٢٧، مقاتل
الطالبيين: ٢٦.

دفن سيد شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن الزكي عليه الصلاة والسلام؟! إلى غير ذلك مما لا تحيط به الطروس والمزابر، ولا تفي بحقه الدروس والمنابر.

وكان ما كان مما لست أذكره.....

وقد تبين بهذا أن عائشة لم تدخل في جملة نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللواتي هن أفضل من غيرهن، لعدم وفائها بالشرط، أعني الاتقاء. هذا، مع أنا نعرف لأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن قدرهن وفضلهن ومكانتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقع الاتفاق على طهارة

عائشة مما رميت به، وأن من قذفها بما برأها الله تعالى منه فقد كفر بالله العظيم (١).

وأما قولنا: إن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أفضل الأزواج الطاهرات، فقد حكى عن الجاحظ في كتاب (الأنصاف) أنه أنكر غاية الإنكار على من يساوي عائشة بخديجة أو يفضلها عليها (٢). وقال القاري في (مرقاة المفاتيح) (٣): قال الأكمل: روي عن أبي حنيفة أن عائشة بعد خديجة أفضل نساء العالمين. انتهى.

(١) اختلف أصحابنا في آيات الإفك، فقال بعضهم - كصاحب (مجمع البيان) وبعض المتأخرين -: إنها نزلت في عائشة في حديث الإفك، وقال آخرون: إنها نزلت في مارية القبطية. فراجع: مجمع البيان ٧ / ١٣١، والفصول المهمة - لشرف الدين العاملي - ١٤٦، والميزان في تفسير القرآن ١٥ / ٨٩.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٢٩٤، دلائل الصدق ج ٣ - القسم الثاني - ص ١٥١.

(٣) مرقاة المفاتيح ٥ / ٣٤٨.

قلت:

وهو ظاهر كلام السهيلي في (الروض الأنف) (١)، بل هو مذهب جمهور المحققين، كالإمام تقي الدين السبكي والشيخ الإمام جلال الدين البلقيني وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني (٢) وغيرهم من أكابر أهل العلم والحديث.

واحتجوا لذلك بما أخرجه البخاري في صحيحه (٣) عن علي عليه السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: خديجة أفضل نساء الأمة مطلقا لهذا الحديث (٤)، وقال أيضا: لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة (٥). وقال الحافظ ابن حجر (٦): دل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية، وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة. انتهى. وقال أيضا (٧): استدل بهذا الحديث على أن خديجة أفضل من عائشة.

(١) الروض الأنف ٧ / ٥٦٩.

(٢) فتح الباري ٧ / ١٦٧.

(٣) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك) إلى آخره.

(٤) فتح الباري ٦ / ٥٤٣.

(٥) فتح الباري ٧ / ١٧٣.

(٦) فتح الباري ٦ / ٥٤٣.

(٧) فتح الباري ٧ / ١٦٨.

واحتجوا أيضا بما رواه البخاري ومسلم (١) وغيرهما عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت

معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببیت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. واستدل بهذه القصة أبو بكر ابن داود على أن خديجة أفضل من عائشة، لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه وخديجة أبلغها السلام من ربها (٢).

وأخرج البزار والطبراني، عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، مرفوعا: لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين.

قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر في (شرح البخاري) (٣): حديث حسن الأسناد.

وأخرج الحاكم في (المستدرک) (٤) - وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي - عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم وفاطمة وخديجة وآسية.

-
- (١) صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب من فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.
- (٢) فتح الباري ٧ / ١٧٣، مرقاة المفاتيح ٥ / ٣٤٨.
- (٣) فتح الباري ٧ / ١٦٨، إرشاد الساري ٦ / ١٦٧، وأخرجه الطبري في تفسيره ٣ / ١٨١ عن عمار بن سعد.
- (٤) المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٨٥.

قال المناوي في (فيض القدير) (١): قال جمع: هذا نص صريح في تفضيل خديجة على عائشة وغيرها من زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم، لا يحتمل التأويل. انتهى.

وقال أيضا (٢): خديجة أفضل أمهات المؤمنين، قال الحافظ العراقي: على الصحيح المختار، وذكر نحوه ابن العماد وسبقهما السبكي. انتهى. وقال ابن حجر في (الفتح) (٣): ومن صريح ما جاء في تفضيل خديجة - أي على عائشة - ما أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم من حديث ابن عباس، رفعه: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد.

وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية) وعند الترمذي بإسناد صحيح عن أنس: (حسبك من نساء العالمين) فذكرهن (٤).

هذا، وقد ذهبت جماعة قليلة - ممن سبق الرجل - إلى تفضيل عائشة على خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وأرضاها، محتجين بما لا ينجع، وقد تصدى الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر في (شرح البخاري) (٥) لتزييف حججهم ودحضها. وحسبك دليلا على نفي تفضيل عائشة ما رووه عنها أنها قالت: كان

(١) فيض القدير ٤ / ١٢٤، ونقل ذلك عن الحافظ ابن حجر كما في ص ٧٤ من (إتحاف السائل).

(٢) فيض القدير ٣ / ٤٣١.

(٣) فتح الباري ٧ / ١٧٣.

(٤) فتح الباري ٦ / ٥٤٣.

(٥) فتح الباري ٧ / ١٣٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا! فقد أبدلك الله خيرا منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيرا منها.. الحديث (١).
بل قد روي عنها ما هو صريح في تفضيل غيرها عليها، قالت عائشة (٢): ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب - يعني بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة.

وأخرج الترمذي من طريق كنانة - مولى أم المؤمنين صفية رضي الله عنها - أنها حدثته، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام فذكرت له ذلك، فقال: ألا قلت: وكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟! وكان بلغها أنهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها، نحن أزواجه وبنات عمه (٣).

على أن خديجة رضي الله عنها أول الناس إسلاما وتصديقا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق، وأنى لعائشة مثل هذه الخصيصة، بل نزل القرآن فيها وفي صاحبته مخاطبا لهما بقوله: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير* عسى ربه إن طلقكن أن يبدله

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ / ٢٨٦ - ٢٨٧، الإصابة في تمييز الصحابة ٤ / ٢٨٣.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٧ / ١٢٧.

(٣) سنن الترمذي ٥ / ٧٠٨ ح ٢٨٩٢، الإستيعاب ٤ / ٣٤٨، الإصابة ٤ / ٣٤٧.

أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات
ثيبات وأبكاراً).

فما يقول مخالفونا في ذلك؟! وفي ما أتمه الله عليهما من الحجة
البالغة بالمثل العظيم الذي ضربه لهما بقول جل ثناؤه: (ضرب الله مثلاً
للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع
الداخلين)؟!!

أولسنا معذورين بعد هذا - يا أولي الأبواب - في تفضيل البضعة
الطاهرة الزكية، وسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين على عائشة
وحفصة؟!!

ولا إخالك ترتاب في ذلك من بعد الموازنة بين حال الفريقين بميزان
الحق ومعيار الأنصاف، وللكلام تنمة تأتي إن شاء الله تعالى.
* الثالث:

زعمه التعميم في تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى سائر النساء،
وتخصيص فاطمة الزهراء عليها السلام بالتفضيل على نساء المؤمنين بعد أمهاتهم،
لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: خير نسائها فاطمة بنت محمد.
وفيه أولاً: أنا ذكرنا آنفاً أنه لا يلزم من تفضيل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم على
غيرهن تفضيلهن على بضعة الرسول فاطمة الزهراء بالتول عليها الصلاة
والسلام، وسيأتي مزيد بسط له إن شاء الله تعالى.
وثانياً: أن دعوى التعميم في تفضيل الأزواج والتخصيص في تفضيل

البضعة الشريفة، بتوهم أن المراد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (خير نسائها) خصوص

نساء الأرض في عصرها - كما استظهره النووي (١) - مدفوعة، بأنه على هذا التقدير أيضا تثبت أفضليتها على جميع أمهات المؤمنين رضي الله عنهم خلا أمها خديجة - كما لا يخفى -، مضافا إلى أن ظاهر من فضلهن إنما فضلهن على من دون فاطمة عليها السلام، ويفصح عن ذلك ما حكى عن شيخ الإسلام ابن حجر أنه قال: يدل لتفضيل بناته صلى الله عليه وآله وسلم على زوجاته خبر

أبي يعلى عن عمر مرفوعا: (تزوج حفصة خير من عثمان، وتزوج عثمان خيرا من حفصة) (٢).

وقال الشهاب الألوسي (٣): لو قال قائل: إن سائر بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من عائشة لا أرى عليه بأسا. انتهى.

ويرد دعوى التخصيص أيضا قول الحافظ العسقلاني في (الفتح) (٤): أقوى ما استدل به على تقديم فاطمة ٣ على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن خبر: (إن فاطمة سيدة نساء العالمين إلا مريم) وأنها رزئت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرها من بناته، فإنهن متن في حياته فكن في

صحيفته، ومات صلى الله عليه وآله وسلم في حياتها فكان في صحيفتها. قال: وكنت أقول ذلك استنباطا إلى أن وجدته منصوصا في تفسير الطبري. انتهى.

فظهر أن ما صححه الرجل في آخر كلامه غير صحيح، ولم يحصل

(١) شرح صحيح مسلم ٩ / ٣٠٣.

(٢) فيض القدير ٢ / ٤٦٢ - ٤٦٣.

(٣) روح المعاني ٣ / ١٥٦.

(٤) كما في فيض القدير ٤ / ٤٢٢.

التوفيق بما تحمله، لأنك قد عرفت أن التفضيل في الآية مقصور على أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وليست الآية ناظرة إلى من خرج عنها تخصصاً كالزهراء عليها السلام، إذ إنها غير مسوقة لبيان فضل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم على

آحاد النساء من هذه الأمة وغيرها - كما مر -.

وأما الحديث فقد تقدم أنه على التعميم أدل، فلا تعارض بين الآية والحديث حتى يلتبس للتوفيق بينهما وجه.

وأما قوله: (فإنه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة) فساقط مردود لما أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم - من حديث طويل - عن عائشة، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو: سيدة نساء هذه الأمة.

وفي لفظ آخر: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين.

والجمع المضاف يفيد العموم والاستغراق - كما تقرر في الأصول -،

ولا عهد هنا، فهو في قوة (خير النساء فاطمة) فأني نص أصح

وأصرح من هذا في تفضيلها عليها الصلاة والسلام على الإطلاق؟!

فأين تذهبون؟! وأني تؤفكون؟! (إنه لقول رسول كريم * ذي

قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم

بمجنون).

هذا تمام الكلام في أولى الدعويين.

* وأما الثانية منهما:

فقد ذهب فيها إلى القول بتفضيل عائشة على خديجة رضي الله عنها.

واستدل لذلك بما روي عن أنس بن مالك، أنه قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها. قال النعساني: وروي هذا من طريق عمرو بن العاص، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، فلولا أن الله أوحى بذلك إليه لم يقع ذلك منه، وهذا يدل على أن عائشة أفضل النساء. انتهى (١).

قلت:

قد سلف الكلام في التفضيل بين أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وعائشة بنت أبي بكر، وعرفت الحق فيه، فإذا لا يعبأ بقوله. نعم، حكى شيخ الإسلام ابن حجر عن ابن القيم أنه قال: إن أريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذاك أمر لا يطلع عليه، فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح، وإن أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة. وتعبه بأن ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله، وهي أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام، فلها مثل أجر من جاء بعدها، ولا يقدر قدر ذلك إلا الله. انتهى (٢).

فتحصل من جميع ما ذكرنا أنه ليس لعائشة ما تفضل به على خديجة رضي الله عنها إلا ما يدعى من حديث الثريد، وسيأتي إن شاء الله البحث فيه بما ليس عليه من مزيد.

(١) الدر النضيد من مجموعة الحفيد: ٥٥.

(٢) فتح الباري ٧ / ١٣٦.

وأما ما احتج به من الحديث على تفضيل عائشة على سائر النساء،
فغير صالح للاحتجاج، وذلك من وجوه ثلاثة:
الأول: أن حديث أنس لم يروه عنه إلا حميد بن أبي حميد
الطويل (١)، وكان يدلس عن أنس.
قال أبو بكر البرديجي: حديث حميد لا يحتج منه إلا بما قال:
(حدثنا أنس) (٢).
قلت:

وقد عنعن في حديثه هذا (٣) ولم يصرح بالتحديث.
وأما حديث عمرو بن العاص، فقد أخرجه الشيخان والترمذي (٤)،
عن خالد بن مهران الحذاء، عن أبي عثمان النهدي، عنه، لكنه منقطع.
قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب (العلل) عن أبيه: لم يسمع
خالد الحذاء من أبي عثمان النهدي شيئاً.
وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به (٥).
الثاني: أنه معارض لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أحب أهلي إلي فاطمة) أخرجه

-
- (١) سنن ابن ماجه ١ / ٣٨ ح ١٠١، سنن الترمذي ٥ / ٧٠٧ ح ٣٨٩٠.
(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦.
(٣) سنن ابن ماجه ١ / ٣٨ ح ١٠١، سنن الترمذي ٥ / ٧٠٧ ح ٣٨٩٠.
(٤) صحيح البخاري ٥ / ٢٠٩ - ٢١٠ - كتاب فضائل الصحابة - باب قول
النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً، كتاب المغازي - باب غزوة ذات السلاسل،
صحيح مسلم ٤ / ١٨٥٦ ح ٢٣٨٤ - كتاب الفضائل - باب (من فضائل أبي بكر)،
سنن الترمذي ٥ / ٧٠٦ ح ٣٨٨٥.
(٥) تهذيب التهذيب ٢ / ٧٤.

الترمذي والحاكم وصححه، وكذا الطبراني والديلمي وغيرهم عن أسامة بن زيد، ورمز السيوطي في (الجامع الصغير) لصحته.
قال المناوي في (فيض القدير) (١): حبه إياها - يعني فاطمة عليها السلام - كانت أحبية مطلقة، وأما غيرها فعلى معنى (من) (٢)، وحبه لها كان جبليا ودينيا، لما لها من جموم المناقب والفضائل. انتهى.
وأخرج الترمذي والحاكم، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام، ومن الرجال علي عليه السلام (٣).
وروى جميع بن عمير التيمي أن عائشة سئلت: أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالت: فاطمة، فقليل: من الرجال؟ قالت: زوجها (٤).

والأحاديث في ذلك كثيرة، والسنن شهيرة وفيرة، فلا غرو لو ادعي الوضع والاختلاق في حديث أنس وعمرو بن العاص، إذ لا تكاد تجد منقبة من مناقب الآل إلا وافتل النواصب في حق أوليائهم ما يناقضها ويعارضها، فكيف تسنى له أن يسند ذلك إلى إichاء الله تعالى به لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والله المستعان على ما يصفون.

-
- (١) فيض القدير ١ / ١٦٨، إتحاف السائل: ٢٧.
(٢) أي: من أحب النساء إلي عائشة، وهذا لا يمنع أن تكون فاطمة عليها السلام على رأسهن محبة.
(٣) سنن الترمذي ٥ / ٦٩٨ ح ٣٨٦٨، المستدرک علی الصحيحین ٣ / ١٥٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الأسناد، ورواه النسائي أيضا في الخصائص: ٢٩، وابن عبد البر في الإستيعاب ٤ / ٣٧٨.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٧٠١ ح ٣٨٧٤، والحاكم في المستدرک ٣ / ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٧، والنسائي في الخصائص: ٢٩، وغيرهم.
وانظر: فضائل الخمسة ٢ / ٢٠٦ - ٢٠٩.

الثالث: أن الكلام في الأفضلية لا في المحبة، ولا يلزم من أكثرية المحبة تحقق الأفضلية، إذ محبة الأولاد وبعض الأقارب أمر جبلي مع العلم القطعي بأن غيرهم قد يوجد أفضل منهم (١).

هذا، مع تنصيب عائشة على أفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام في ما أخرج الطبراني بترجمة إبراهيم بن هاشم من (المعجم الأوسط) عن عائشة، قالت: ما رأيت قط أحدا أفضل من فاطمة غير أبيها.

قال ابن حجر في (الإصابة) (٢): صحيح على شرط الشيخين. انتهى. وهو كاف في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام على عائشة، فبطل قول النعساني: إن عائشة أفضل النساء، ومع ذلك فقد ثبت تفضيلها عليها الصلاة والسلام بالكتاب العزيز ونصوص السنة المطهرة وأقوال العلماء. فمن آيات الكتاب الدالة على تفضيلها بلا ارتياب قوله عز اسمه في آية المباهلة: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين).

وقد أجمع أهل القبلة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء سوى البضعة الزهراء، وأمّهات المؤمنين رضي الله عنهن كن حينئذ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يدع واحدة منهن - ولا عائشة - وهن بمرأى منه

ومسمع.

وأنت تعلم أن مباہلته صلى الله عليه وآله وسلم بعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام،

(١) مرقاة المفاتيح ٥ / ٦٠٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٤ / ٣٧٨.

والتماسه منهم التأمين على دعائه، بمجرد فضل عظيم، وانتخابه إياهم لهذه المهمة العظيمة، واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وإيثارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق، فضل على فضل، لم يسبقهم إليه سابق، ولن يلحقهم فيه لاحق، ونزول القرآن العزيز أمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث، يزيد فضل المباهلة ظهورا، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفا، وإلى نوره نورا - كما قال الإمام شرف الدين العاملي رحمه الله (١) - . وقال رحمه الله: إن اختصاص الزهراء من النساء والمرضى من الأنفس - مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الأبناء - دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام، لأن عليا وفاطمة لما لم يكن لهما نظير في الأنفس والنساء كان وجودهما مغنيا عن وجود من سواهما، بخلاف كل من السبطين، فإن وجود أحدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئتهما، ولذا دعاهما صلى الله عليه وآله وسلم

جميعا، ولو دعا أحدهما دون صنوه كان ترجيحا بلا مرجح، وهذا ينافي الحكمة والعدل.

نعم، لو كان ثمة من الأبناء من يساويهما لدعاه معهما، كما أنه لو كان لعلي نظير من الأنفس أو لفاطمة من النساء لما حاباهما، عملا بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة. انتهى (٢).

ومنها: قوله جل وعلا في آية التطهير: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقد علم كل منصف أن هذه الآية البينة إنما نزلت في الخمسة أصحاب الكساء، ومنهم فاطمة سيدة النساء، وكفاك هذا برهانا على أنهم أفضل من أقلته الأرض يومئذ ومن

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء ٣ - المطبوع مع (الفصول المهمة) - : ٢٠٠.

(٢) الكلمة الغراء: ٢٠١.

أظلمته السماء.

ومنها: قوله تبارك وتعالى في آية المودة: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) وقد روى الجمهور أنه لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: علي وفاطمة وابناهما (١).

ومنها: قوله عز من قائل في آيات الأبرار: (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا)* عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) إلى آخر السورة، وقد أجمعنا على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ورواه الواحدي في (البيسط) والثعلبي في تفسيره وأبو المؤيد موفق بن أحمد في كتاب (الفضائل) وغير واحد من الحفظة وأهل الضبط عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيها من الدلالة على فضل هؤلاء: ما لا يخفى، وقد أبان سيدنا الإمام شرف الدين العاملي رضي الله عنه طرفا من ذلك في (الكلمة الغراء) فمن شاء فليرجع إليها وليقف على كلمة الفصل فيها، والله الموفق.

وأما السنة الثابتة في تفضيلها عليها السلام فهي كثيرة لا تحصى، ووفيرة لا تستقصى، فلنورد منها هنا طرفا مما ظفرنا به، والله المستعان.

أخرج الشيخان في صحيحيهما (٢) عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(١) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه عنه أيضا ابن المنذر وابن مردويه والمقرئزي والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم والسيوطي في (الدر المنثور) وأبو نعيم في (حلية الأولياء) والحموي في (فرائد السمطين) وغيرهم من المحدثين والمفسرين، وراجع (الرسالة المكية) للسيد كاظم الرشتي، فقد بسط فيها الكلام على الآية الشريفة.

(٢) صحيح البخاري ٨ / ٧٩ - كتاب الاستئذان - باب من ناجى بين يدي الناس، و ٤ / ٢٤٧ - ٢٤٨ - كتاب بدء الخلق - باب علامات النبوة، صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٤ - ١٩٠٥ ح ٩٨ - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل فاطمة عليها السلام. وراجع: مسند أحمد ٦ / ٢٨٢، وطبقات الصحابة ٢ / ٤٠، وأسد الغابة - بترجمة فاطمة عليها السلام، والخصائص - للنسائي -: ٣٤، ومسند أبي داود الطيالسي ج ٦ في أحاديث النساء، وحلية الأولياء ٢ / ٢٩، ومشكل الآثار ١ / ٤٨ و ٤٩، وفضائل الخمسة ٣ / ١٦٩ - ١٧١.

يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين - أو: سيدة نساء هذه الأمة -؟! وأخرج الحاكم في (المستدرک) (١) وصححه، عنها، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال - وهو في مرضه الذي توفي فيه - : يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين؟! وأخرج الترمذي في (سننه) (٢) عن حذيفة، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة. وعن عمران بن حصين، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام: يا بنية،

(١) المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٥٦، الإصابة ٤ / ٣٧٨.
(٢) الجامع الصحيح ٥ / ٦٦٠ - ٦٦١ ح ٣٧٨١ باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام،
وراجع: المستدرک ٣٣ / ١٥١، ومسند أحمد ٥ / ٣٩١، وحلية الأولياء ٤ / ١٩٠،
وكنز العمال ٦ / ٢١٧ وقال المتقي: أخرجه الروياني وابن حبان في صحيحه عن
حذيفة، وفي ص ٢١٨ وقال: أخرجه ابن عساكر عن حذيفة، و ج ٧ / ١٠٢ وقال:
أخرجه ابن جرير عن حذيفة، وفي ص ١١١ وقال: أخرجه ابن أبي شيبة، وروى
نحوه عن علي عليه السلام وقال: أخرجه البزار، وكذا أخرج نحوه النسائي في الخصائص:
ص ٣٤ عن أبي هريرة، والمتقي في الكنز ٦ / ٢٢١ وقال: أخرجه الطبراني وابن
النجار عن أبي هريرة.

أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟! قالت: يا أبت فأين مريم ابنة عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، أما والله زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة (١).

وعن جابر بن سمرة، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أما إنها - يعني فاطمة عليها السلام - سيدة النساء يوم القيامة (٢).

وأخرج الحاكم في (المستدرک) (٣) عن عائشة، قالت لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أبشرك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخديجة بنت خويلد، وآسية.

وأخرج الحاكم والطبراني والخطيب (٤) أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام:

أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاما، وأعلمهم علما، فإنك سيدة نساء أمتي كما سادت مريم قومها.. الحديث.

وأخرج أحمد في مسنده والحاكم في (المستدرک) (٥) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة خطوط، ثم قال:

أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن أفضل نساء أهل الجنة

(١) حلية الأولياء ٢ / ٤٢، مشكل الآثار ١ / ٥٠، ذخائر العقبى: ٤٣ وقال المحب الطبري: خرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي، الإستيعاب ٤ / ٣٧٦.

(٢) حلية الأولياء ٢ / ٤٢.

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٨٥ وقال: صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي، ورمز السيوطي في (الجامع الصغير) لصحته.

(٤) كما في كنز العمال ٧ / ١١١.

(٥) مسند أحمد ١ / ٢٩٣ و ٣١٦ و ٣٢٢، المستدرک على الصحيحين ٢ / ٤٩٧، الإستيعاب ٤ / ٢٨٥ و ٣٧٦، الإصابة ٤ / ٣٧٨، وراجع: فضائل الخمسة ٣ / ١٧٤ - ١٧٥.

خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم.. الحديث.
وأخرج أحمد والترمذي والحاكم (١) عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم.
وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٢).
وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله اصطفى على نساء العالمين أربعة: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣).
وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٤).

-
- (١) المسند ٣ / ١٣٥، سنن الترمذي ٥ / ٧٠٣ ح ٣٨٧٨ - باب فضل خديجة رضي الله عنها، المستدرک على الصحيحين ٣ / ٥٧ بطريقين قال في ثانيهما: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، الإستيعاب ٤ / ٢٨٥ و ٣٧٧، الإصابة ٤ / ٣٧٨ عن جابر، فضائل الخمسة ٣ / ١٧٦ - ١٧٧.
(٢) جامع البيان - تفسير ابن جرير الطبري ٣ / ١٨٠، وقال الحافظ في الفتح: أخرجه الطبراني وأخرجه الثعلبي في تفسيره.
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٢٣.
(٤) الإستيعاب ٤ / ٢٨٤ و ٣٧٧، ورواه في صحيفة ٢٨٥ عن أنس، الإصابة ٤ / ٣٧٨، ورواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورمز السيوطي لصحته في (الجامع الصغير).

وروى الحارث بن أبي أسامة في مسنده، عن عروة بن الزبير،
مرسلاً (١): خديجة خير نساء عالمها، ومريم خير نساء عالمها، وفاطمة
خير نساء عالمها.

وأخرج البخاري (٢) عن المسور بن مخرمة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني.

قال المناوي: استدل به السهيلي على أن من سبها عليها السلام كفر، لأنه
يغضبه صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها أفضل من الشيخين (٣).

وأخرج الحاكم (٤) عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:
فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران.

قال في (فيض القدير) (٥): فعلم أنها أفضل من عائشة لكونها بضعة
منه صلى الله عليه وآله وسلم، وخالف فيه بعضهم.

قال السبكي: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة
ثم عائشة، ولم يخف عنا الخلاف في ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر
معقل.

قال المناوي (٦): قال الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي: ولوضوح

(١) فيض القدير ٣ / ٤٣٢، قال المناوي: قالوا: وهو مرسل صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٥ / ٢٦ - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب فاطمة عليها السلام.

وراجع: فضائل الخمسة ٣ / ١٨٤ - ١٨٨.

(٣) فيض القدير ٤ / ٤٢١، فتح الباري ٧ / ١٣٢.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٤.

(٥) فيض القدير ٤ / ٤٢١ - ٤٢٢، وقال في إتحاف السائل: ٨٥: فعلم أنها أفضل

من أمها خديجة، وما وقع في الأخبار مما يوهم أفضليتها فإنما هو من حيث

الأمومة فقط، وعلى عائشة على الصحيح، بل الصواب.

(٦) إتحاف السائل: ٨٥ - ٨٦.

ما قاله السبكي تبعه عليه المحققون، وممن تبعه عليه الحافظ أبو الفضل بن حجر، فقال في موضع: هي مقدمة علي غيرها من نساء عصرها، ومن بعدهن مطلقا. انتهى.

وأخرج ابن جرير الطبري (١) عن فاطمة عليها السلام، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم البتول. تنبيه:

إعلم أن (إلا) في الحديثين ليست للاستثناء، بل هي عاطفة بمنزلة (الواو) في التشريك في اللفظ والمعنى، كما في قوله تعالى: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) (٢) وقوله تعالى: (لا يخاف لدي المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء) (٣). أي: ولا الذين ظلموا، ولا من ظلم، وهو مذهب الأخفش والفراء وأبي عبيدة، كما حكاه ابن هشام في (المغني) (٤). وهذه الأحاديث صريحة في تفضيل الصديقة الطاهرة عليها السلام على عائشة في الدنيا والآخرة، مع أنك ترى أنه لم يجر لأُم المؤمنين ذكر في شيء من هذه الأحاديث، فضلا عن تفضيلها. بل الحق الذي ندين الله به أن البضعة الشريفة أفضل النساء على

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٣ / ١٨١.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٥٠.

(٣) سورة النمل ٢٧: ١٠ و ١١.

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١ / ١٠١ - الباب الأول - مبحث (إلا) بالكسر والتشديد.

الإطلاق، حتى أمها رضي الله عنها، وعليه انعقد إجماع أهل الحق قاطبة.
وقد ذكر الحافظ العسقلاني في (فتح الباري) (١) أن حديث ابن
عباس رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أفضل نساء أهل الجنة
خديجة بنت

خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون)
يقتضي أفضلية خديجة على غيرها.
وكذا ما أخرجه البخاري عن علي عليه السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله
وسلم

يقول: (خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة).
وقال الشهاب القسطلاني في (إرشاد الساري) (٢): روى النسائي من
حديث داود بن أبي الفرات، عن علي بن أحمد السكري، عن عكرمة،
عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: أفضل نساء
أهل

الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
قال: وداود بن أبي الفرات وعلي بن أحمد ثقتان، فالحديث
صحيح، وهو صريح في أن فاطمة وأمها أفضل نساء أهل الجنة. انتهى.
قلت:

وقد مر في الأحاديث ما يدل على تفضيل فاطمة عليها السلام على أمها، وكذا ما
رواه البخاري في صحيحه (٣): (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)، فأنحصرت
الأفضلية المطلقة على النساء بفاطمة الزهراء عليها آلاف التحية والثناء.

(١) فتح الباري ٦ / ٥١٥.

(٢) إرشاد الساري ٦ / ١٤١.

(٣) صحيح البخاري ٥ / ٢٥ - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب فاطمة عليها السلام، إرشاد
الساري ٦ / ١٤١.

وأما ما روي عن ابن عباس مرفوعا: سيدة نساء العالمين - وفي رواية: سيدة نساء أهل الجنة - مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية (١)، فقد قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٢): إن هذا الحديث ليس بثابت، وأصله عند أبي داود والحاكم بغير صيغة ترتيب. انتهى.

وكذا ما روي عنه مرفوعا: سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران، فاطمة بنت محمد وخديجة وآسية امرأة فرعون (٣).

فإن الأدلة الأخرى التي هي أكثر عددا وأصح سنداً وأصرح دلالة من هذا الحديث ونحوه توجب الأعراض عما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء عليهما السلام كما أفاده في (الكلمة الغراء) (٤).

هذا، وقد صرح جمع من الأئمة الأعلام ومشايخ الإسلام بتفضيل بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة ومن سواها، فلا بأس أن نسرد هنا طرفاً مما وقفنا عليه من كلامهم في ذلك، لينجلي لك الحق وضوحاً، ويزداد أهل الباطل فضوحاً.

قال الإمام مالك بن أنس الأصبحي - إمام دار الهجرة -: لا أفضل أحداً على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٥).

وقال العلقمي: فاطمة وأخوها إبراهيم أفضل من جميع الصحب، لما فيهما من البضعة الشريفة (٦).

(١) الإستيعاب ٤ / ٢٨٥ و ٣٧٦.

(٢) فتح الباري ٧ / ١٦٨.

(٣) الإستيعاب ٤ / ٢٨٦.

(٤) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام: ٢٤١.

(٥) مرقاة المفاتيح ٥ / ٥٩٢.

(٦) فيض القدير ٢ / ٥٣.

وذكر علم الدين العراقي: أن فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأربعة بالاتفاق (١).

وقال ابن قيم الجوزية: إن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يطلع عليه إلا هو، فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح، وإن أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة، وإن أريد شرف الأصل ففاطمة لا محالة، وهي فضيلة لا يشاركها فيها غير أخواتها، وإن أريد شرف السيادة فقد ثبت النص لفاطمة وحدها (٢).

وقال ابن حجر: قد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما (٣).

قلت:

وقد تقدم أنفاً كلام له في تقديم فاطمة عليها السلام على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن، فراجع ثمة إن شئت.

وقال السيوطي - في جواب من سأل عن عائشة وفاطمة أيهما أفضل؟ - : فيه ثلاثة مذاهب، أصحها أن فاطمة رضي الله عنها أفضل (٤). وقال ابن داود: فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا نعدل بها أحداً (٥). وقد مر عليك قول الإمام تقي الدين السبكي: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة، ولم يخف عنا الخلاف في

(١) فيض القدير ٤ / ٤٢٢.

(٢) فتح الباري ٧ / ١٣٦، فيض القدير ٤ / ٢٩٧.

(٣) فتح الباري ٦ / ٥١٥.

(٤) الحاوي للفتاوي ٢ / ٩٩.

(٥) مرقاة المفاتيح ٥ / ٣٤٨، شرح الفقه الأكبر: ٢١٩.

ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.
وقال المناوي في (إتحاف السائل) (١): أما نساء هذه الأمة فلا ريب
في تفضيلها عليهن مطلقاً، بل صرح غير واحد أنها وأخوها إبراهيم أفضل
من جميع الصحابة حتى الخلفاء الأربعة.
وقال الشيخ العلامة أبو الثناء شهاب الدين الآلوسي البغدادي: الذي
أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات، من حيث
إنها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ومن حيثيات أخر أيضاً، إذ البضعية
من

روح الوجود وسيد كل موجود، لا أراها تقابل بشيء.
* (وأين الثريا من يد المتناول) *

قال: ومن هنا يعلم تفضيلها على عائشة، ثم قال - بعد كلام له في
المسألة -: وبعد هذا كله، الذي يدور في خلدي أن أفضل النساء فاطمة ثم
أمها ثم عائشة، بل لو قال قائل: إن سائر بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل
من

عائشة لا أرى عليه بأساً، وعندي بين مريم وفاطمة توقف، نظراً للأفضلية
المطلقة، وأما بالنظر إلى الحيثية فقد علمت ما أميل إليه. انتهى (٢).
قلت:

ينبغي التوقف في ذلك، فقد حكى المناوي في (فيض القدير) (٣)
عن السيوطي أنه قال في حديث (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة): فيه دلالة
على فضلها على مريم سيما إن قلنا بالأصح من أنها غير نبية.

(١) إتحاف السائل: ٨٧.

(٢) روح المعاني ٣ / ١٥٥.

(٣) فيض القدير ١ / ١٠٥.

وقد تقرر أفضلية الزهراء على العذراء عليهما السلام بأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة إنها سيدة نساء أهل الجنة، أي من هذه الأمة المحمدية، وقد ثبتت أفضلية هذه الأمة على غيرها، فتكون فاطمة - على هذا - أفضل من مريم وآسية (١)، والله تعالى أعلم.

وقال الآلوسي أيضا في موضع من (روح المعاني) (٢): لا أقول بأن عائشة أفضل من بضعته: ٦ الكريمة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، والوجه لا يخفى.

وقال في موضع آخر منه (٣): إن فاطمة من حيث البضعية لا يعدلها أحد. انتهى.

وممن صرح بأفضليتها على نساء الدنيا حتى مريم عليها السلام تقي الدين المقرئ وبدر الدين الزركشي والشيخ العلامة أحمد بن زيني بن دحلان مفتي الشافعية بالحرمين الشريفين، وهو اختيار الحافظ السيوطي في كتابيه: (شرح النقاية) و (شرح جمع الجوامع) - كما في السيرة الدحلانية (٤) - . هذا كله مضافا إلى ما حكى من انعقاد الإجماع على أفضلية فاطمة عليها الصلاة والسلام - كما حكاه الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٥) - . وأما عائشة بنت أبي بكر، فلم يرد نص بتفضيلها على بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول كما أشار إلى ذلك علي بن عثمان الأوشي الحنفي في

(١) إرشاد الساري ٦ / ١٤١، السيرة النبوية - لابن دحلان - ١ / ٢٢٢.

(٢) روح المعاني ١٨ / ١٣٢.

(٣) روح المعاني ٢٨ / ١٦٥.

(٤) السيرة النبوية ١ / ٢٢٢.

(٥) فتح الباري ٧ / ١٣٦.

(بدء الأمالي) حيث قال:
وللصديقة الرجحان فاعلم على الزهراء في بعض الخلال
قال القاري في (ضوء المعالي) (١): إعلم أن المصنف أراد أنه لم يرد
نص بتفضيل عائشة على فاطمة، وإنما ورد رجحانها عليها من جهة كثرة
الرواية والدراية. انتهى.
قلت:

هذا مع كونه اجتهدا في مقابل النص الصحيح الصريح، فإنه سيأتي
الجواب عنه إن شاء الله تعالى.
نعم، ذهب أبو حنيفة - صاحب المذهب - إلى القول بتفضيل عائشة
حيث قال: عائشة أفضل نساء المؤمنين (٢).
لكن مر عن الأكمال أنه نقل عن أبي حنيفة أن أفضليتها بعد
خديجة، وقد قررنا لك آنفا أن فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل نساء العالمين
على الإطلاق، حتى أمها خديجة رضي الله تعالى عنها.
وقال محمد بن سليمان الحلبي في (نخبة اللآلي لشرح بدء
الأمالي): إن عائشة أفضل نساء العالمين مطلقا، وأحب النساء إلى
النبي: ٦، وأعلمهن بالسنة. انتهى.
واعلم أن عمدة ما عندهم في ذلك وجوه زائفة وحجج داحضة،
ذكرها الشهاب الآلوسي الحنفي وأجاب عنها، وهي ثلاثة:
أولها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء) وفي لفظ:

(١) ضوء المعالي - شرح بدء الأمالي - : ٢٦.
(٢) الفقه الأكبر - المطبوع مع شرح القاري - : ٢٠٠.

(خذوا شطر دينكم عن الحميراء).
والجواب: أن حديث (خذوا شطر دينكم...) قال فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني في تخريج ابن الحاجب: لا أعرف له إسنادا، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في (النهاية) لابن الأثير، ذكره في مادة ح م ر، ولم يذكر من خرجه.

وقال السخاوي: ورأيته أيضا في كتاب (الفردوس) لكن بغير لفظه، وذكره من حديث أنس بغير إسناد أيضا، ولفظه (خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء) ويض له صاحب (مسند الفردوس) فلم يخرج له إسنادا، وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل الحافظين المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه (١). انتهى.

وقال السيوطي: لم أقف عليه (٢).
وأما الحديث الآخر، فعلى تقدير ثبوته فإن قصارى ما فيه إثبات أنها عالمة إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدين، وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعة عليه الصلاة والسلام، ولعلمه صلى الله عليه وآله وسلم أنها لا تبقى بعده

زمننا معتدا به يمكن أخذ الدين منها فيه، لم يقل فيها ذلك، ولو علم لربما قال: خذوا كل دينكم عن الزهراء، وعدم هذا القول في حق من دل العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليته، وإلا لكانت عائشة أفضل من أبيها، لأنه لم يرو عنه إلا قليل لقلة لبثه وكثرة غائله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

على أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تركت فيكم الثقلين، كتاب الله تعالى وعترتي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض) يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة

(١) المقاصد الحسنة: ٣٢١ ح ٤٣٢.

(٢) مرقاة المفاتيح ٥ / ٦١٦.

- كما لا يخفى - كيف لا؟! وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيدة تلك العترة. انتهى كلام الآلوسي.

وقد ظهر لك بهذا وجه النظر فيما تقدم من كلام ابن القيم، حيث قال: إن أريد بالتفضيل كثرة العلم فعائشة لا محالة، مضافا إلى تعقب الحافظ ابن حجر له - كما سلف - فتنبه.

ثانيها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم - في ما أخرجه الشيخان وأحمد، عن أنس وأبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال -: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

تقريب الاستدلال: أن الثريد أفضل طعام العرب، وأنه مركب من الخبز واللحم، فهو جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول وغير ذلك، فضرب صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة المثل به ليعلم أنها أعطيت حسن الخلق والخلق

والحديث وحلاوة المنطق وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل، إلى غير ذلك.

وفيه:

أولا: أن هذا الحديث ظاهر الوضع، بين الاختلاق والحزازة، إذ لا يحسن نسبة هذا التشبيه الواهي إلى من أوتي جوامع الكلم وكان أفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

وكيف لا يجزم بكذبه وبطلانه من عرف طريقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في لطف كلامه وحسن بيانه وبديع تشبيهاته؟!

وأين هو من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة سيدة نساء العالمين)؟! - كما قال

العلامة ابن المظفر، في (دلائل الصدق) (١).
وثانيا: أنه على تقدير تسليمه لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة
- كما صرح به شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في موضعين من (شرح
البخاري) (٢) - .
وثالثا: أن أفضليتها - على تقدير تسليمها - مقيدة بنساء النبي صلى الله عليه وآله
وسلم
حتى لا يدخل فيها مثل فاطمة عليها الصلاة والسلام، جمعا بين هذا
الحديث وحديث: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة) - كما أشار
إليه ابن حبان (٣) - وقد قضينا الوتر فيما سلف من الكلام على ذلك.
وقال المناوي في شرح هذا الحديث في (فيض القدير) (٤): (على
النساء) أي على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين (٥) في زمانها، ومن
أطلق
نساءه ورد عليه خديجة، وهي رضي الله عنها أفضل من عائشة على
الصواب، لتصريح المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لم يرزق خيرا من خديجة،
ولخبر ابن أبي شيبه: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم وآسية
وخديجة) فإذا فضلت فاطمة فعائشة أولى، ومن قيد بنساء زمانها ورد
عليه فاطمة، وفي شأنها قال أبوها ما سمعت.
قال: وقد قال جمع من السلف والخلف لا نعدل ببضعة
المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أحدا، قال البعض: وبه يعلم أن بقية أولاده كفاطمة
رضي الله عنها. انتهى.

-
- (١) دلائل الصدق ٢ / ٣٦٨.
(٢) فتح الباري ٦ / ٥١٥ و ٧ / ١٣٥.
(٣) فتح الباري ٧ / ١٣٥.
(٤) فيض القدير ٢ / ٤٦١.
(٥) كذا، والصواب لغة: اللاتي أو اللاتي.

ثم رأيت أن ابن أبي الحديد المعتزلي قد ذكر في (شرح نهج البلاغة) (١): أن أصحابه يحملون لفظة (النساء) في هذا الخبر على زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم، لأن فاطمة عليها السلام عندهم أفضل منها - يعني عائشة -

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنها سيدة نساء العالمين). ورابعا: أن هذا الحديث معارض بما يدل على أفضلية غير عائشة عليها، فقد أخرج ابن جرير، عن عمار بن سعد، أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على

نساء العالمين) بل هذا الحديث أظهر في الأفضلية وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف - كما قال الآلوسي (٢) - . وقال أيضا: أشكل ما في هذا الباب حديث الثريد، ولعل كثرة الأخبار الناطقة بخلافه تهون تأويله، وتأويل واحد لكثير أهون من تأويل كثير لواحد، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

ثالثها: أن عائشة يوم القيامة في الجنة مع زوجها صلى الله عليه وآله وسلم (٣) وفاطمة عليها السلام يومئذ مع زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، وفرق عظيم بين مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومقام ابن عمه عليه السلام،

وهو قول أبي محمد ابن حزم، وفساده ظاهر - كما قال ابن حجر (٤) - وقال الشيخ تقي الدين السبكي: هو قول ساقط مردود. وأنت تعلم أن هذا الدليل يستدعي أن تكون سائر زوجات

(١) شرح نهج البلاغة ١٤ / ٢٣ .

(٢) روح المعاني ٣ / ١٥٦ .

(٣) كما أخرج ابن سعد عن مسلم البطين مراسلا: عائشة زوجتي في الجنة، ورمز السيوطي في (الجامع الصغير) لضعفه.

(٤) فتح الباري ٧ / ١٧٣ .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، لأن مقامهم - بلا ريب - ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وآله وسلم، فلو

كانت الشركة في المنزل مستدعية للأفضلية لزم ذلك قطعاً، ولا قائل به - كما أفاده الشهاب الآلوسي (١) -.

على أن ذلك معارض بما أخرجه الإمام أحمد (٢) عن عبد الرحمن الأزرق، عن علي عليه السلام، قال: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا نائم على

المنامة، فاستسقى الحسن أو الحسين، قال: فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى شاة لنا

بكي فحلبها فدرت، فجاءه الحسن فنحاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت فاطمة:

يا رسول الله، كأن أخاه أحبهما إليك، قال: لا، ولكنه استسقى قبله، ثم قال: إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة.

هذا، وإن من تصفح أحوال عائشة وتتبع سيرتها أذعن بأنها لا ينبغي أن تكون طرف تفضيل، فضلاً عن الخوض في تفاضلها مع الحوراء الإنسية، التي جوهرتها من شجرة قدسية (٣).

وهل يكون الفضل جزافاً؟! وقد خالفت أمر الله في كتابه بقرارها في بيتها، وخرجت على إمام زمانها الذي جعل صلى الله عليه وآله وسلم حربه حربه (٤)،

(١) روح المعاني ٣ / ١٥٦.

(٢) مسند أحمد ١ / ١٠١.

(٣) راجع في ذلك: الدر المنثور ٤ / ١٥٣، المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٥٦،

ذخائر العقبى: ٣٦ و ٤٤، تاريخ بغداد ٥ / ٨٧، فضائل الخمسة من الصحاح الستة

٣ / ١٥٢ و ١٥٤.

(٤) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، رواه الترمذي. ورواه ابن ماجة في سننه بلفظ: أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم.

وجاهرت بعداوته وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عادى الله من عادى عليا (١)

واستمرت على بغضه، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بغضه أمانة النفاق، حيث

قال: (لا يحب عليا منافق، ولا يبغضه مؤمن) (٢).

وكيف تكون أفضل النساء؟! وقد ضرب الله سبحانه مثلها ومثل صاحبته في كتابه المجيد بقوله تعالى: (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) (٣). فتدبروا يا أولي الأبواب في أحاديث السنة وآيات الكتاب، واعرفوا الحق لأهله، كي تكونوا من أهله إن شاء الله. (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

(١) أسد الغابة ٢ / ١٩٤، الإصابة ١ / ٥٠١، كنز العمال ٦ / ١٥٢، كنوز الحقائق - للمناوي -: ٨٨، الجامع الصغير - للسيوطي -، وروى الحاكم في المستدرک ٣ / ١٢٧ بسنده عن ابن عباس قال: نظر النبي ٦ إلى علي ٧ فقال: يا علي، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وراجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢ / ٢٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ٥ / ٦٣٥ ح ٣٧١٧، وأخرج مسلم في صحيحه ١ / ٨٦ ح ١٣١ عن علي عليه السلام، قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي إلي أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق.

وراجع في ذلك: فضائل الخمسة ٢ / ٢٣٠ - ٢٣٤.

(٣) دلائل الصدق ٢ / ٣٦٨ بتصرف يسير.

المصادر

- ١ - إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، لزين الدين المناوي - طبع مكتبة القرآن بالقاهرة - بتحقيق عبد اللطيف عاشور.
- ٢ - إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي - ط.
- ٣ - الأذكار من كلام سيد الأبرار، لمحيي الدين النووي - عني به محيي الدين الشامي - مؤسسة التقويم الإسلامي ودار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ.
- ٤ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين القسطلاني - طبع المطبعة الأميرية بمصر، سنة ١٣٠٤ هـ.
- ٥ - الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر النمري القرطبي، المطبوع بهامش الإصابة - الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٨ هـ.
- ٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير الجزري - طبعة دار الشعب، سنة ١٣٩٣ هـ.
- ٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني - الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٨ هـ.
- ٨ - الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري، طبعة البابي الحلبي، سنة ١٣٨٨ هـ.
- ٩ - تاج العروس من جواهر القاموس، لمحب الدين محمد مرتضى الزبيدي - طبعة مصر، سنة ١٣٠٧ هـ.
- ١٠ - تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - طبعة مصر.
- ١١ - تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني - طبعة دار إحياء التراث العربي، سنة ١٤١٢ هـ.
- ١٢ - جامع البيان (تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري -

- طبعة المطبعة الكبرى ببولاق، سنة ١٣٢٤ هـ.
- ١٣ - الحاوي للفتاوي، لجلال الدين السيوطي - طبعة المنيرية، سنة ١٣٢٥ هـ.
- ١٤ - حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - طبعة مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٥١ هـ.
- ١٥ - خصائص أمير المؤمنين ٦، للحافظ النسائي - طبعة مطبعة التقدم العلمية بمصر، سنة ١٣٤٨ هـ.
- ١٦ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي - طبعة الميمنية، سنة ١٣١٤ هـ.
- ١٧ - الدر النضيد من مجموعة الحفيد، للشيخ أحمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازاني - الطبعة الأولى، مطبعة التقدم، سنة ١٣٢٢ هـ.
- ١٨ - دلائل الصدق، للعلامة الشيخ محمد حسن المظفر - أفسيت مكتبة بصيرتي - قم.
- ١٩ - ذخائر العقبى، لمحب الدين الطبري - طبعة مصر، سنة ١٣٥٦ هـ.
- ٢٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي)، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢١ - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم السهيلي - ط.
- ٢٢ - سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار الفكر - بيروت.
- ٢٣ - سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار إحياء السنة النبوية - القاهرة.
- ٢٤ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - تحقيق إبراهيم عطوة عوض - طبعة البابي الحلبي.
- ٢٥ - السيرة النبوية والآثار المحمدية، لأحمد زيني دحلان - أفسيت دار المعرفة - بيروت.

- ٢٦ - شرح صحيح مسلم، لمحيي الدين النووي - المطبوع بهامش إرشاد الساري - طبع المطبعة الأميرية بمصر.
- ٢٧ - شرح الفقه الأكبر، لملا علي القاري الهروي - طبع إسطنبول، سنة ١٣٠٣ هـ.
- ٢٨ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة مصر، سنة ١٣٨٥ هـ.
- ٢٩ - صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.
- ٣٠ - صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- ٣١ - ضوء المعالي - شرح بدء الأمالي، لملا علي القاري الهروي - طبعة إسطنبول.
- ٣٢ - طبقات الصحابة، لابن سعد - طبعة ليدن، سنة ١٣٢٢ هـ.
- ٣٣ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، لابن طاووس - طبعة مطبعة الخيام بقم، سنة ١٣٩٩ هـ.
- ٣٤ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني - طبعة دار الريان للتراث - مصر، سنة ١٤٠٧ هـ.
- ٣٥ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة، للعلامة الفيروزآبادي - طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت، سنة ١٤٠٢ هـ.
- ٣٦ - فيض القدير - شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي - طبعة مصر، سنة ١٣٥٧ هـ.
- ٣٧ - الكامل في التاريخ، لابن الأثير علي بن محمد الشيباني، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٤٠٢ هـ.
- ٣٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل (تفسير الزمخشري)، لجار الله محمود ابن عمر الزمخشري - طبعة دار المعرفة - بيروت.
- ٣٩ - الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام، للإمام شرف الدين العاملي رحمه الله
- (مطبوع مع الفصول المهمة) - طبعة دار النعمان، النجف الأشرف.
- ٤٠ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي - طبعة

- حيدر آباد، سنة ١٣١٢ هـ.
- ٤١ - كنوز الحقائق في أحاديث خير الخلائق، للمناوي - طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، سنة ١٣٥٦ هـ.
- ٤٢ - المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري - طبعة حيدر آباد، سنة ١٣٤٤ هـ.
- ٤٣ - مسند أحمد بن حنبل، طبعة الميمنية، سنة ١٣١٣ هـ.
- ٤٤ - مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي - طبعة حيدر آباد، سنة ١٣٣٣ هـ.
- ٤٥ - مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصبهاني - طبعة المطبعة الحيدرية بالنجف - الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥ هـ.
- ٤٦ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للحافظ السخاوي - طبع دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - بيروت، سنة ١٤٠٥ هـ.
- ٤٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير الجزري - طبعة سنة ١٣٨٥ هـ.